الرسالة

مجلة اسبوعية ... لعلوم والفنون

العدد ٢٦٨

السنة الساد

6me Année, No. 268

Lundi - 22 - 8 - 1938

بدل الاشتراك عن سنة

ص

٦٠ فى مصر والسودان

٨٠ فى الأقطار العربية

١٠٠ فى سائر الممالك الأخرى

١٢٠ فى العراق بالبريد السريع

١ ثمن العدد الواحد

الاعلانات

يتفق عليها مع الادارة

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Littéraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها

ورئيس تحريرها المسئول

أحمد حسن الزيات

الادارة

بشارع عبد العزيز رقم ٣٦

العتبة الخضراء — القاهرة

ت رقم ٤٢٣٩٠ و ٥٣٤٥٥

العـــدد ٢٦٨ «القاهرة فى يوم الاثنين ٢٦ جمادى الآخرة سنة ١٣٥٧ — ٢٢ أغسطس سنة ١٩٣٨» السنة السادسة

الفهـرس

تفريع على البقيـــة

للأستاذ عباس محمود العقـاد

فى أوربا تقل قيود المرأة وتقل قيود الفنان ، ولكننا يندر أن نرى امرأة ممن عاشرن الأدباء ورجال الفنون على شرط الجمال الأوفى عند أولئك الأدباء والفنانين ، وهم كما نعلم نقاد الجمال وخلاقو المقاييس والآراء فيه

وقد رأينا صور النساء اللواتى عاشرن بيرون وجيتى ودانتزيو، وهم قبل كل شىء من طبقة النبلاء أو يعيشون فى تلك الطبقة وينتقلون حياتهم بين الأمراء والأميرات ، وهم بعد هذا شعراء « عاليون » استفاضت شهرتهم في البلاد الأوربية وغير الأوربية ، وهم بعد هـذا وهذا أرفع أمثالهم ذوقاً وأدباً وقدرة على انتقاء صنوف الجمال ، ومنهم من لعب بالمال لعباً وساح فى الأرض وهام بالنساء

ومع هذا يندر كما قلنا أن نجد بين حبائبهم وموصوفاتهم من هى على شرط الجمال الأوفى عندهم وعند من يشابهونهم ويتوسلون بأشباه وسائلهم

وسبب ذلك معروف لا ينبغى أن نستغرب به ولا أن نحار فى تعليله ، فان الدواعى التى تدعو الرجل إلى المرأة أو تدعو المرأة

إلى الرجل كثيرة غير الجمال في صفاته العليا ، فمنها الذكاء، فقد تكون المرأة ذكية وهي قليلة الحظ من الجمال، أو غبية وهي أجمل من ترى العيون ؛ ومنها العطف ، فقد ينجذب الرجل إلى المرأة ، العطوف وينفر من المرأة الشموس وهي سيدة النساء في جمال الوجوه والأجسام؛ ومنها المركز الاجتماعي، ومنها الرغبة الجنسية، ومنها الغرابة التي تستهوي الرجال حين لا تستهويهم المحاسن والأخلاق ؛ ومنها التنافس على الغلب كما يتنافس الفرسان على قصبة وهي من سقط المتاع

فاذا وصف الشعراء امرأة أو أحبوها فليس باللازم أن تكون هذه المرأة طرازهم الأعلى في محاسن النساء وشرائط الجمال بله الطراز الذي يتفق عليه جميع الناس، وتتلاقي عنده جميع الآراء، وتتوافق لديه جميع الفلسفات . وإذا قلنا إن الجسم الجميل هو الجسم الذي لا فضول فيه والذي يحمل كل عضو من أعضائه نفسه غير محمول على سواه ، ثم رأينا ألف امرأة على غير هذه الصفة ممن أحبهم ملوك الذوق وأساتذة الفنون فليس ذلك بمانع صحة التعريف ولا بناقض صواب الرأي ، لأن « ملوك الذوق وأساتذة الفنون هنا» كالقاضي خارج الجلسة ، أو كالقاضي الذي بينه وبين المدعين قرابة واتصال

وهذا بين الأوروبيين على ما عندهم من حرية وثقافة ذهنية ورياضة بدنية وعلوم صحية ومعارض يومية وتاريخية ، فكيف بأعرابي في البادية يقولها كلمة عائرة ولعله لا يعني ما يقول !!

قلنا في مقالنا السابق « بقية المذهب » :

« لقد وصف بعض الاعراب نساء « محبوبات » فاستملحوا الضخامة ومدحوا الكسل وبطء الحراك، وافتتن أميرهم بعذارى قال في وصفهن ما يقال في وصف الفيلان :

وظل العذارى يرتمين بلحمها ... وشحم كهداب الدمقس المفتل

نعوذ بالله »

وكتب (القارىء) الفاضل في الرسالة يقول إن امرأ القيس يستحسن في المرأة ما يستحسنه الأستاذ العقاد النقاد ويستقبح ما يستقبحه وهو يقول في معلقته :

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ... ترائبها مصقولة كالسجنجل

... يعني امرأة دقيقة الخصر ضامرة البطن غير عظيمة البطن ولا مسترخية ، وصدرها براق اللون متلألىء الصفاء تلألؤ المرآة . فأمير الاعراب ونائب الأمة في دار الندوة الأستاذ العقاد في قضيتهما في الحسان سيان ... »

فأحب أن يذكر (القارئ) الفاضل أن امرأ القيس قال أيضاً :

إذا ما بكى من خلفها انصرفت له ... بشق ... ... إلى آخر البيت

وهذا ما ليس يقال في امرأة على ما وصف في البيت الذي استشهد به

وقال أيضاً :

إذا قلت هاتي نوليني تمايلت ... عليّ هضيم الكشح ريا المخلخل

وامتلاء الساق مع دقة الخصر ليس من الصفات المنتقاة في نماذج الجمال

ثم نقض قوله حين عاد فقال ، إن كان عاد أو إن كان قال :

وكشح لطيف كالجديل مخصّر ... وساق كأنبوب السقي المذلل

ثم قال :

وتضحى فتيت المسك فوق فراشها

نؤوم الضحى لم تنتطق عن تفضل

فهو يستحسن الكسل والتراخي ، وكثرة النوم ، والترامي بالشحم واللحم وليس ذاك مما يستحسن في رشيقات النساء

وقال امرؤ القيس في غير هذه القصيدة :

إذا ما الضجيع ابتزها من ثيابها ... تميل عليه هونة غير مجبال

كحقف النقا يمشي الوليدان فوقه ... بما احتسبا من لين مس وتسهال

وأين هذا من الجسم الذي لا فضول فيه ؟

فلو أن (القارئ) الفاضل ذكر هذا وماجرى مجراه من الشعر الذي قاله الشاعر، أو نسب إليه لعلم أن صاحبنا في عالم غير عالم التعريف بالجمال المثالي أو المذاهب الفنية فيه ، بمعزل عن أهواء الفنانين ، ولعلم كذلك لماذا وضعنا كلمة « محبوبات » بين قوسين قبل أن نسمع منه مثل هذا الاعتراض ، فان وصف الرجل لامرأة يحبها ويستمتع بها غير وصف الفنان للجمال الخالص أو لصفاته التي تبلغ مبلغ الكمال ، والتي تدركها القرائح ممنى من المعاني كمنى البيت والصورة والنشيد والتمثال

ومصداق ذلك أن كاتب هذه السطور وصف امرأة محبوبة في رواية سارة :

« هي جميلة لا مراء . ليست أجمل من رأى همام في حياته ، ولا أجمل من رأى في أيام فتنته وشغفه ، ولكنها جميلة جمالاً لا يختلط بغيره في ملامح النساء . فلو عمدت إلى ترتيب ألف امرأة هي منهن لنظمتهن واحدة بعد واحدة في مراتب الجمال المألوف ، ونحّيت سارة عن الصف وحدها ... فها فم الطفل الرضيع لولا ثنايا تخجل العقد النضيد في تناسق وانتظام ، ولها ذقن كطرف الكمثري الصغيرة، واستدارة وجه، وبضاضة جسم لا تفترقان عن سمات الطفولة في لمحة الناظر ؛ وبين وجهها النضير وجسمها الغضير جيد كأنه الحلية الفنية سبكت لتنسجم بينهما وفاقاً لتمام الحسن من كليهما ... لو تكفل بها مدير معهد من معاهد التجميل الحديث لخفف شيئاً من قوامها الرواح بين الربعة والطويل قبل أن يبرزها في معرض الرقص والرشاقة . ولو تكفل بها قهرمان القصر عند كسرى أو عبد الحميد لما ضاره أن يزيد فيها حيث ينقص زميله الحديث قبل أن يزفها إلى الشاهنشاه »

فالمرأة المحبوبة شيء والمرأة الموصوفة على مثال الجمال في معانيه المجردة شيء آخر

وامرؤ القيس لم يحبب قط امرأة على مثال الجمال ، وإن كان قد وصف من النساء شمائل محمودة عند من ينظرون إلى ذلك المثال. ولعله فطن لهذه الشمائل بذوق الحاضرة وذوق الامارة ، لا بذوق الاعراب في عماية الجاهلية . ولو أنه تعمد أن يرسم للأنوثة مثالا موافقاً لمعاني الجمال بمعزل عن المتعة أو عن الرغبة الجنسية لأعياه المطلب ، لتخلف الأوان وندرة الأسباب

سألني سائل : أولا تكون المرأة إذن جميلة على شرط الفن والرياضة الحديثة إلا أن يكون وزنها قنطاراً أو دون القنطار ؟

وجوابنا الذي نطمئن به الكثيرين على عجل : كلا ! قد تكون جميلة ووزنها قنطاران ، إذا تهيأ لامرأة أن تبلغ من الطول والجسامة ما تزن به القنطارين في غير فضول واسترخاء

وستتلو هذا المقال « حاشية على التفريع » نتم فيها ما ينبغي إتمامه من هذا البحث الذي لا فضول فيه !

عباس محمود العقاد

مائة صورة من الحياة

للأستاذ علي الطنطاوي

٣ – مجنون

أصبحت اليوم خاثر النفس لَقِساً ، فتركت عملي وركبت (الترام رقم ٦) الذي يجوز بداري ثم يذهب فيخترق (الغوطة الشرقية) - حديقة الأرض - حتى ينتهي إلى (دوما) . فنزلت على ابن عم لي فيها طبيب، فلم ير أبلغ في إكرامي من أن يحملني بسيارته إلى (القصير) فيجمعني باخواننا الكرام ساكني تلك الديار . ولم يكن الدخول إلى (القصير) سهلا ولا ميسوراً ، وما كنا نطمع أن يؤذن لنا به ، فجعلنا نطيف بتلك الحدائق الواسعة الجميلة فما راعنا إلا القوم قد ملأوا الحدائق ، خارجين إلى النزهة والعمل فجعلنا نكلم من نراه منهم من وراء الدرابزين فنسمع عجباً كما نرى عجباً . فنهم من هو نائم على وجهه ؛ ومنهم من هو قائم على رجل واحدة ؛ ومنهم من يرسم في الهواء دوائر وهمية ، ويكلم أشباحاً لا ترى ؛ ومنهم من هو باك منتحب ثم لا يلبث أن يضحك حتى يكركر من الضحك ... وما ظنك بسكان القصير ؟

وكان أعجب ما شهدنا من العجب رجلا عارياً إلا من خرقة تستر عورته ، ولحية له طويلة عريضة تبلغ والله سرته وتحجب صدره . حقيقة أقول لا مبالغة ولا مجازاً ، قد انتحى ناحية من حدائق (المارستان) ثم مشى فيها مقبلا مدبراً متبوّعاً عجلا ، فقلت لابن عمي : تنح بنا عنه وتنكب طريقه ، فربما بطش بنا ... وإني لأرى جسما قوياً ، وعصباً مشدوداً ، وما في كل من رأينا (أو ما رأينا فاننا نتحدث عن المجانين) من هو أظهر منه جنوناً ، وأبدى حماقة ...

قال : عجباً منك ! هذا الشيخ فضل الحموي !

قلت : بل منك والله العجب ... أتراني سائلا إذا هشم أنفي وهتمت أسناني ، أفعل ذلك الشيخ فضل الحموي أم الشيخ محمد المغربي ؟ حسبي منه أنه مجنون ... فمدّ بنا عنه !

قال : إذن يذهب سعيي باطلا ، فما حملتك في السيارة وجئت

بك إلى هذه الديار ، إلا لأريك الشيخ فضلاً الحموى ؟

قلت : دعنى . فلقد رأيت مجانين كثيرين ، شباناً ومشايخ ، وأدباء وعلماء ، وعاشقين ومعشوقين ، ولم يبق لى فى رؤية مجنون أرب ... وإنما غدا أربى فى رؤية عاقل

قال : هذا هو الذى تريد ... هذا رجل يتظاهر بالجنون ، وهو أعقل من العقلاء

قلت : أو يكون هذا ؟ أنذا لم أجد فى المدرسة والكلية عاقلاً والسوق والنادى أجده فى (البيمارستان) ؟

قال : نعم ، تعال انظر

فأقبلنا نميل إليه . فلما رأى السيارة مقبلةً قال مالا يفهم ، وأشار بيديه وأبدى سيما المجانين، فنظرت إلى ابن عمى وابتسمت، فأشار لى أن أنتظر؛ ونادى الرجل باسمه، فلما عرفه هدأ، وقال له:

هذا أنت يا فلان ؟

قال : نعم . وهذا الشيخ ... (وسمّانى)

فنظر إلىّ وابتسم ، فظننت أنه قائل لى مقالة كل (عاقل) يلقانى: أين العمة واللحية والشارب؟ كأن الشيخ لا يكون شيخاً إلا بهذا ! ولكن (المجنون) لم يقل شيئاً . فقال له ابن عمى :

ألا تعجب منه شيخاً حليق الوجه حاسر الرأس ؟

قال : ويحك يافلان ! ألا تعلم أنها إذا اتصلت الأرواح ، بطلت الأشباح؟

وأفاض فى كلام مثل هذا بلغة صحيحة وإلقاء متزن ، فقلت فى نفسى هذا من (عقلاء المجانين) الذين ألف فى أخبارهم أبو القاسم الحسن بن محمد النيسابورى رحمه الله ، ولست آمن أن تدركه الآن جِنته فيؤذينا ، ووقفت حذراً ...

فلما انتهى قال له ابن عمى وقد امتد إلينا الظلام ونحن فى ظلال الأشجار

ألا تسير بنا إلى النور ؟

فقال لنا وهو يضحك ، وما رأيناه إلا ضاحكا :

لولا أننا هنا لقلت لكم (إن نوركم كاف) ولكن مثل هذا (النفاق) لا يقال هنا ...

فقلت : وله ؟ أولا ترى لنا نوراً ؟

فقال : إن فى كل كائن نوراً وجمالا ، ولكن العيون المدركات قليل ... إن الناس جميعاً يؤخذون بجمال القمر ، ولكن الشمس لا يؤخذ بجمالها إلا من كان له عين تصبر على نورها . ولذلك كان الشمسيون من الناس (والتعبير له) أقل من القمريين وأندر ؛ وهؤلاء هم الكبار من الصوفية ، فاذا جازوا مرحلة الشمس ونفذوا منها إلى منطقة السديم استوى عندهم جمال القمر وجمال النجم ، واستوت عندهم الظلمة، والنور لأنهم بلغوا مرتبة الفناء فى الوجد ، فلم يبالوا بعد بالموجودات ...

وتكلم فى مثل هذا أكثر من ساعة كلاماً ما سمعت مثله ولا قرأته ، وفسر آيات ، وتمثل بأبيات ، وذكر نظريات العلماء المحدثين حتى أدهشنى والله ، وكاد يمضى فى كلامه إلى الليل لولا أن قرع الناقوس ليدخلوا فودعناه وقلت له : لقد استفدت منك

فضحك وقال : لا ترفع صوتك فيسمعك أحد

قلت : ولهْ ؟

قال : ولهْ ؟ أعاقل يستفيد من مجنون ؟

وكان الحارس قد وصل ، فلما رآه الشيخ فضل غمزنى بعينه وعاد يقول مالا يفهم، ويشير إشارات المجانين ، فدعوت الحارس فسألته :

ما هو جنون هذا الرجل ؟

قال : أما ترى ؟ أما ترى لحيته وعريه ؟

قلت : بلى ، فماذا فى العرى ؟ أليس الرجال جميعاً والنساء على ساحل الاسكندرية وحمامات بيروت على مثل عريه ؟ ألا يتكشف (الكشافة) دائماً ؟ أما اللحية فقف فى السوق وانظر كم ترى من لحية . فلم أمسكتم بهذا وحده دون أولئك ؟

قال : هذا يقول بأن كل شىء هو الله . أما هذا جنون ؟ أما هو كفر ؟

قلت : من حسن حظ الشيخ محي الدين بن عربى أنه مات قبل افتتاح مستشفى القصير !

قال : إنه يتكلم ساعات فلا يفهم عنه أحد

قلت : كذلك كل الفلاسفة وكذلك أكثر المعلمين..

قال : ويسكت أحياناً يومين كاملين

قلت : هذا من العقل ، هذا ...

فنظر إلى الحارس نظرة فهمت منها أنه يعجب منى كيف لا أدخل المستشفى وأكون من أهله ! فأسرعت بالهرب قبل أن يقبض على بتهمة الجنون ...

« دوما » علي الطنطاوي

الدين والأخلاق

بين الجديد والقديم

لأحد أساطين الأدب الجديث

الظاهر أن الأستاذ الغمراوي رجل حسن النية صادق السريرة. وقلت الظاهر لأني لا أعرفه؛ ولا أريد أن أتعرض لنقده ما يسميه المذهب الجديد، ولا للنزاع الثائر بين أنصار الرافعي وبين أنصار العقاد. ولو كان الأستاذ قد اكتفى بالنقد الفني وقصره على ذلك النزاع الفني لسلم من بعض الهفوات التاريخية والاجتماعية؛ فقد قال إن نزعة التجديد يرجع أولها إلى نحو ثلاثين سنة، وقد ذكر فيما ذكر من التجديد أخذ الآراء الأوربية، ولم يكتف بذكر ما أخذ منها مما هو في باب الآداب، بل ذكر أيضاً ما اقتبس من النظم والمبادئ الاجتماعية. وهذا الوصف الشامل للتجديد لا ينطبق على نزعة بدأت منذ ثلاثين سنة، وإنما ينطبق على النزعة بوجه عام منذ جاء نابليون إلى مصر، ومنذ عهد محمد علي باشا وإسماعيل باشا، ومنذ أدخلت المطابع وأرسلت البعوث العلمية واقتبست القوانين المدنية، ونظمت المحاكم الأهلية التي صارت تحكم بغير أحكام الشريعة الاسلامية، وكثر نقل الكتب إلى العربية. والأستاذ الغمراوي يعيب على المجددين أنهم يريدون رفض بعض أحكام الشريعة، ويذكر كيف أن بعض الكتاب يحبذ منع تعدد الزوجات. ويقول الأستاذ إن للدين وحدة تامة فلا يجوز أخذ بعضه وترك بعضه. ويا حبذا لو أن الأستاذ كان قد فصّل هذه الناحية من التجديد في مقال مستقل عن النزاع على التجديد في معاني الشعر والنثر، إذ ما صلة الدين قاموا بانشاء المحاكم الأهلية وأحلوا أحكامها محل الشريعة الاسلامية، وما صلة الذين يريدون منع تعدد الزوجات ومنع الطلاق، بمعاني شكسبير والمتنبي وملتون وأبي العتاهية مثلاً، ولعل أكثرهم كانوا لا يهمهم النزاع الفني الأدبي مطلقاً. نعم إن الدين والأخلاق لها مظاهر في الشعر والنثر فكان ينبغي للأستاذ الغمراوي وقد حكم للمذهب القديم أنه قوام الدين والأخلاق، وحكم على المذهب الجديد أنه بؤرة الالحاد والمجون، أن يثبت هذا الزعم فينفي عن شعراء المذهب القديم كل كفر والحاد ومجون، وينفي عن شعراء المذهب الجديد كل تدين وإيمان بالفضائل مستشهداً بأقوالهم من شعر ونثر فان هذه هي الطريقة الفنية للمفاضلة بين المذهبين من حيث الدين والأخلاق. وإن لم تخني الذاكرة فان الأستاذ قد لخص المذهب الجديد في الأدب بأنه نزعة تغليب دين على دين. وإذا كان لهذا القول معنى فمعناه أن أدباء المذهب الجديد يريدون تغليب الديانة المسيحية على الديانة الاسلامية. فاذا لم أكن مخطئاً في هذا التفسير كان واجباً على الأستاذ أن يقيم الدليل على أن أدباء المذهب الجديد يريدون تغليب دين على دين، وقد نسى الأستاذ أن كثيراً من مظاهر الحضارة الأوربية الحديثة لا علاقة له بالمسيحية التي هي دين أكثر الأوربيين، أو لعل الأستاذ قد أراد أمراً آخر لم نفهمه. ولو رجع الأستاذ إلى العصر الذي كانت فيه النزعة الدينية المسيحية متغلبة في أوربا وهو عصر القرون الوسطى عصر الزهد والرهبنة والتقشف لعلم أن المحافظين من رجال الدين والكتاب كانوا يخشون على الدين والأخلاق من غزل العرب ومجون شعرائهم وقصصهم ومن حرية أفكارهم في المسائل الدينية والكونية، وكانوا يرمون الأدب العربي بالاباحية في الأخلاق، وكانوا يلومون الآباء الذين كانوا يرسلون أبناءهم إلى مدارس البلاد العربية كالأندلس وصقلية؛ فلم يكن عداؤهم للكتب العربية الدينية فحسب، بل كان عداؤهم للكتب الأدبية العربية والفكرية أشد. وموقف هؤلاء المحافظين من الأدب والفكر العربي كان شبيهاً بموقفهم من الأدب والفكر الاغريقي القديم. وهذه الحقيقة ينبغي أن تنبه الأستاذ إلى أن الدولة العربية الاسلامية لم تلبث على الفطرة السليمة وعلى حالها من الأدب كما كانت في صدر الاسلام مثلا بل دخلها الترف وتفشت فيها لذائذ الحضارة وكثر المجون في أقوال الشعراء والكتاب وبقيت أصناف المجون والالحاد مخطوطة إلى عهد أن دخلت المطابع البلاد العربية الاسلامية. ولا أحسب أن أهلها كانوا على فطرة يخشى عليها من تلك الكتب فان حالة الأخلاق في عهد دخولها لم تكن أرقى مما هو موصوف في تلك الكتب إلا في أوساط محدودة معروفة بالنزاهة والعفة والاستقامة وصدق القول والعمل؛ وكان يضرب بها المثل؛ وكانت كالشامة البيضاء تنمت نفسها لوضوحها في الجلدة السوداء. ولا تنس

أن البدو كانوا بطبيعتهم يكرهون الضوابط والروادع أية كانت، فسرعان ماحثتهم الحضارة ولذائذها على التحلل من روادع الدين. وقد بدأ المجون يعود إلي استفحاله بعد عهد قريب من صدر الاسلام، وبلغ أشده في الدولة العباسية، وكان مصحوباً في كثير من الأحوال بالكفر والزندقة والالحاد، وكان كل منهما في بعض الأحايين مستقلا عن الآخر ، فقد كان بعض الملحدين من أشد الناس زهداً ومحافظة على الفضائل كما كان المعرى مثلا

يقول الأستاذ إن المذهب الجديد في الأدب الذي يقول عنه الأستاذ إنه بدأ منذ ثلاثين سنة خطر على الأخلاق والدين ، فهل يستطيع الأستاذ أن يأتى بأبيات من شعر هذا المذهب الجديد فى شناعتها كأبيات ابن الرومى النونية التى يقول فيها :

صوت يد المجان فى المجين   أو صوت رجلى عامل فى طين

وهى أبيات قد اختارها له السيد توفيق البكرى فى كتاب (صهاريج اللؤلؤ) الذى ألفه كى يقرأه الناس رجالا ونساء وفتياناً وفتيات ، والبكرى كما يعلم الأستاذ الغمراوي كان شيخ السادة البكرية ورجلاً من رجال الدين والفضل ومن أدباء المذهب القديم، ولكنه لم يتحرج من إطلاع سيدة أو فتاة فاضلة على ما فى كتابه هذا من المجون الشنيع . ولأن يعطى الأديب من أدباء المذهب القديم أى قول قاله شعراء وأدباء المذهب الجديد لأخته أو لفتاة من أقربائه لتقرأه ؛ لأصون لها ولأخلاقها من أن يعطيها كتاب صهاريج اللؤلؤ هذا إلا إذا طمس المجون قبل أن يقدم إليها الكتاب. وقد طبع الشيخ شريف جزءين من ديوان ابن الرومى فى أحدها أرجوزة مطلعها : (رب غلام وجهه لا يفضحُـهْ) وفيها يصف طرق اللواط فى أوضاع وأشكال مختلفة . وقد عنى الشيخ شريف بشرح لفظه ومعناه كما عنى السيد توفيق البكرى بشرح الأبيات النونية. والشيخ شريف كان مفتش اللغة العربية وأديباً من أدباء المذهب القديم، ولكنه لم يتحرج كما لم يتحرج البكرى من شرح وطبع هذا المجون وإيضاح معناه كى يقرأه ويفهمه الفتيان والفتيات . فأى أديب من أدباء المذهب القديم يرى أن يعطى أخته أو أخاه الصغير هذا الكتاب ، أو أن يطلعهما على قصيدة ابن الرومى أيضاً فى (بوران) . أو على ديوان أبى نواس أو على مافى كتاب الأغانى أو كتاب يتيمة الدهر للثعالبى من مجون لا تسمح أية دولة أوروبية بنشره ، بينما أدباء المذهب القديم يشرحونه ويطبعونه ويستحلونه فى مجالس أنسهم ويضحكون تفكهاً به، حتى إذا جاء ذكر ما يسمي بالمذهب الجديد وأثر الأدب الأوروبى فيه أخذتهم رعدة الغضب وادعوا أن المذهب القديم عماد الأخلاق والدين، وأن المذهب الجديد بؤرة المجون والاباحية والالحاد . إن المسألة بسيطة والأمر هين. نستطيع أن نطبع على الناحية اليمنى من صفحات المجلة ما نجده من مجون وإباحية شعراء المذهب القديم فى العصور المختلفة حتى عصرنا هذا ، وعلى هؤلاء الأدباء أن يقدموا ما يستطيعون أن يعثروا به من أقوال أدباء المذهب الجديد لتطبع فى الناحية اليسرى من المجلة . لا شك أن أدباء المذهب القديم يتهربون من مثل هذه المقابلة كل التهرب . وما يقال فى كتب المذهب القديم الأدبية يقال أيضاً فى كتب التاريخ . أنظر بالله إلى الأبيات التى زعموا أن مسيلمة الكذاب بعث بها إلى سجاح المتنبئة والتى فيها (وإن شئتِ ... وإن شئتِ) كيف يستطيع أديب من أدباء المذهب القديم أن يطلع أخته أو بنته أو قريبة له من الفتيات على هذا الشعر ؟

ثم انظر إلى ذكر الفحش وقصصه ونظم الهجاء فيه شعرا تجد أن ادباء مايسمى بالمذهب القديم فى كل عصر حتى عصرناهذا كانوا أكثر حظا منه. ولا أعنى جميعهم ، ولكنهم حتى الأفاضل منهم قد وجدوا هذا الأسلوب من القول عادة صقلها الدهر وهون أمرها فأصبحوا لا يجدون خطرا على الأخلاق فى نظم الهجاء فحشا ولا فى التحدث عنه ، ولكن الخطر كل الخطر هو تأثر الأدب العربى بنواحى القول كما وردت فى كتب الأدب الأوروبى .

وبعد فأى أدب أوروبى يعنون ؟ لقد تقلبت على الدول الأوروبية عصور اتخذ الأدب فى كل منها نزعة خاصة ، ولكنهم إذا تكلموا عن الأدب الأوروبي خيل للقارىء أنهم يعدون جميع الأدب الأوروبى فى عصوره المختلفة على طراز واحد وأنه مأوى المجون والاباحية والزندقة . إن عصور الأدب الأوروبى تختلف اختلافا يجعل بعضها أقرب إلى بعض الأدب العربى منهـا إلى

عصور أخرى من عصور الأدب الأوروبى، فالأدب الاغريقى فى سهولة معانيه وخيالاته أقرب إلى الأدب الجاهلى العربى منه إلى الأدب الرمزى الأوروبى الحديث. والأدب الأوروبى الحديث فى حرية الفكر أقرب إلى الأدب العباسى العربى منه إلى الأدب الأوروبى فى القرون الوسطى. فاذا كان بعض الأدب الأوروبى الحديث قد دعا بعض أدباء المذهب الجديد إلى إبهام الايجاز والصور المتدخلة بعضها فى بعض وإلى غموض الرمزية فقد ألف بعض أدباء المذهب القديم على هذه الطريقة فى إبهام الايجاز من غير أن يطلعوا على الأدب الأوروبى. أنظر مثلا إلى إيجاز الرافعى فى كتاب (حديث القمر) والكتب الأخرى التى كتبها، وكأنه لم يكتبها إلا لكى يثبت أنه يستطيع أن يزيد على معانى وصور أدباء أوروبا والمذهب الجديد وأنه أغنى منهم بمعانيه كما أنه أغنى منهم بأساليبه اللفظية الفصيحة العربية؛ ولكن فصاحة لغته العربية لم تخف الحقيقة الفنية، وهي أن الرافعى صاحب (حديث القمر) و(السحاب الأحمر) أقرب إلى أدباء الرمزية الأوروبيين منه إلى الرافعى صاحب كتاب (إعجاز القرآن). وإن بين أدباء المذهب الجديد من هم أقرب إلى الرافعى صاحب (إعجاز القرآن) وأقرب إلى أدباء العربية الأقدمين من الرافعى صاحب (حديث القمر) وأعنى القرب فى أسلوب التخيل وأسلوب عرض الصور الفكرية وكل صورة مستقلة غير متدخلة في أختها. فاذا أراد إذاً ناقد أن ينتقد المذهب الجديد أو الأدب الأوروبى كانت الطريقة المثلى أن ينتقد ما يعيبه فيه على طريقة النقاد الفنيين فيبين الغث من السمين ويوضح أسباب حكمه على كل قول وكل أديب. أما أن يقول إن الأدب الأوروبى كأدب المذهب الجديد فاسد المعنى والخيال ينبو عنه الذوق العربى وتمجه الفصاحة العربية، وإنه مباءة المجون والاباحية والدندنة، فقول من لا يريد أن ينقد ولا أن تُقدِّر قيمة ما يقول قدراً صحيحاً، ولا أعنى الأستاذ الغمراوى فان هذه أحكام شائعة. نعم إن بعض الأدب الأوروبى ولاسيما الحديث منه يحث أدباء العربية على بعض ما يخالف العرف والتقاليد الاسلامية، ولكن أليس فى أقوال شعراء العرب وأدبائهم فى كل عصر أشياء كثيرة تخالف العرف والتقاليد والآداب والأخلاق الاسلامية كما أوضحنا بالشواهد؟

ونعترف أن فى بعض الأدب الأوروبى الحديث ما يحث على الالحاد، ولكن أليس فى أقوال زنادقة الدولة العباسية وفى لزوميات رجل فاضل كالمعرى ما لا تسمح الحكومة بنشره لو أن أحد شعراء المذهب الجديد كان هو قائله؟ ولكن أقوال أدباء الدولة العباسية والمعرى أقوال صقلها الدهر واعتادها الناس فلا بأس من أن يتفكه بها أدباء المذهب القديم فى مجالسهم ولا بأس من نشرها وإيداعها مكتبات المدارس

وكما أن بعض الأدب الأوروبى أقرب إلى بعض الأدب العربى منه إلى عصور أخرى للأدب الأوروبى فكذلك بعض أدباء المذهب الجديد أقرب إلى أدباء المذهب القديم منهم إلى أدباء آخرين من أدباء المذهب الجديد، فأدباء المذهب الجديد اليوم أكثر حرية فى القول وأكثر نصيباً من الرمزية من أدباء المذهب الجديد الذين ظهروا منذ ثلاثين سنة

(قارئ)

جورجياس
او البيان
لأفلاطون
للاستاذ محمد حسن ظاظا

— ٨ —

« تنزل « جورجياس » من آثار « أفلاطون » منزلة الشرف ، لأنها أجمل محاوراته وأكملها وأجدرها جميعاً بأن تكون « إنجيلا » للفلسفة ! »
« رينوفييه »

«إنما تحيا الأخلاق الفاضلة دائما وتنتصر لأنها أقوى وأقدر من جميع الهادمين ! »
« جورجياس : أفلاطون »

الأشخاص

١ — سقراط : بطل المحاورة : « ط »
٢ — جورجياس : السفسطائي : « ج »
٣ — شيريفين : صديق سقراط : « سه »
٤ — بولوس : تلميذ جورجياس : « ب »
٥ — كاليكليس : الأثيني : « ك »(١)

ب — (متحديا سقراط) ماذا يا سقراط ؟ أعندك حقيقة تلك الفكرة التي شرحتها عن البيان ؟ أولا تعتقد أن الحياء قد أخذ جورجياس فلم يستطع أن ينكر أن الخطيب يعرف الخير والحق والجمال ، عندما أضاف إلى أقواله أنه إذا أتاه من لا يعرف هذه الأشياء فانه سيعلمه إياها بنفسه ؟ لقد نتج عن ذلك ما يحتمل أن يكون بعض تناقض في كلامه فاتخذت أنت من ذلك مسرة لك ورحت تشغل الغير بهذه الأسئلة المسولة ! ولكن أتصدق أن من الناس من لا يصرح بأنه يعرف العدالة وبأنه يستطيع أن يعلمها للغير ؟ الحق أنه الذوق السقيم الذي قد طوح بالمناقشة إلى مثل هذه الأرض !

ط — يالك من ظريف يابولوس! وهل نريد الأصدقاء والبنين لشيء غير ذلك ؟ إنما نريدكم أيها الصغار لكي تقوموا أعمالنا وتصححوا أقوالنا عند ما تتقدم بنا السن وتزل القدم ؛ وها أنت ذا هنا لترد زلتي أنا وجورجياس إذا ما أخطأنا في المناقشة لأن هذا هو واجبك . وأقول من ناحيتي إنك إذا وجدتنا غير مصيبين في الاتفاق على هذه النقطة أو تلك فاني مستعد للنزول على هواك إذا لاحظت شيئا واحدا ... !

ب — أي شيء ؟

ط — التقليل من هذا الاسهاب الذي بدأت به يابولوس !

ب — كيف ؟ أليس لي الحق في الكلام باسهاب كما أشاء ؟

ط — ليكونن عارا عليك يابولوس العظيم أن تحضر إلى أثينا — وهي البلد الاغريقي الفريد الذي يسمح للناس بأكبر قسط من حرية القول — فتعرف فيها بهذه الخاصة ! ومع كل ضع نفسك موضعي ! : ألا يكون من حقي — إذا رأيتك ترسل الكلام الكثير دون أن تجيب على أسئلتي — أن أرثي لنفسي وأن آسف على عدم السماح لي بالرحيل دون سماعك ؟ الحق إذا كان يسرك ما أخذنا فيه من قول بحيث ترغب في تنقيته وتصحيحه ، فلتعد توًّا كما قلتُ إلى أية نقطة تشاء ، ولتسائل أو فلتدعنا نسائلك كما فعلت مع جورجياس ، بل ولتناقض أو لتتركنا نناقضك ! ، إنك تدعي بلاريب أنك تعرف نفس الأشياء التي يعرفها جورجياس !؟ أليس كذلك ؟

ب — بلى

ط — وأنت تدعو مثله الشبان إلى توجيه ما يشاءون من الأسئلة إليك لأنك واثق من قدرتك على إجابتهم ؟

ب — بالتأكيد !

ط — حسن ! فاختر الآن ما يروقك سائلا أو مجيبا !

ب — هذا ما سأفعل ! . أجبني . أي شيء هو البيان في رأيك ما دام قد لاح لك أن جورجياس مرتبك في طبيعة هذا الفن ؟

(١) انتهى سقراط في العدد الماضي إلى ما أوقع جورجياس في التناقض وجعله يسلم أن رجل البيان لا يستطيع إلا أن يكون رجل عدل فحسب . وسنرى اليوم كيف يدخل بولوس في المناقشة ليدافع عن أستاذه المهزوم وكيف يبدأ سقراط فيداعبه ويحاوره ليوقعه في التناقض كما أوقع من قبل أستاذه
« المعرب »

ط — أتسأل عن أى نوع من الفنون هو فى نظرى ؟

ب — بلى !

ط — إذا شئت الحق فأنا لا أعده فنًّا !

ب — وإذاً فماذا تراه ؟

ط — أراه شيئاً جعلت أنت منه فنًّا فى الرسالة التى قرأتها لك أخيراً ![1]

ب — وماذا تعنى بذلك ؟

ط — أعنى نوعاً من التمرين والممارسة !

ب — وإذاً فالبيان فى رأيك تمرين وممارسة ؟

ط — نعم . إذا لم يك لديك اعتراض !

ب — وعلى أى شىء ينطبق ذلك التمرين ؟

ط — إنه يجلب نوعاً من اللذة والاستحسان.

ب — ألا ترى إذاً أن البيان شىء جميل مادام يجلب اللذة؟[2]

ط — ستري يا بولوس ! أو قد أصغيت حتى الآن إلى رأيي فى البيان كيما تقفز هكذا وتسألني عما إذا كنت أراه جميلا ؟

ب — ألم أسمعك تقول إنك تعده نوعاً من التمرين ؟

ط — وما دمت تعلق أهمية كبيرة على جلب اللذة، ألا تود أن تسبب لى قليلا منها ؟

ب — إنى لأبغى ذلك بكل سرور !

ط — إذاً سلنى من أى نوع من أنواع الفنون هو «الطهى» فى رأيي ؟

ب — وإنى لأسائلك أى فن هو الطهى ؟

ط — إنه ليس من الفن فى شىء يا بولوس !

ب — إذا فأخبرني ما هو ؟

ط — إنه نوع من الممارسة والتمرين !

ب — وعلى أى شىء ينطبق ؟

ط — إنه يجلب اللذة والاستحسان يا بولوس !

ب — وإذاً فكلا البيان والطهى واحد ؟ !

ط — كلا ، ولكنهما قسمان فى مهنة واحدة !

ب — وأية مهنة تريد أن تذكر ؟

ط — قد يكون من الخشونة والغلظة أن نصرح بالحقيقة يا بولوس . وإنى لأتردد فى الافضاء بها لوجود جورجياس ! ذلك أنى أخشى ألا يتصور غير رغبتى فى الهزء به والسخرية منه . إننى لا أدرى إن كان البيان الذى يمتهنه جورجياس من النوع الذى أعرفه أم ليس منه ، لأن مناقشتنا منذ هنيهة لم توضح لنا قط فكرته عنه . ولكن ما أدعوه أنا بالبيان ليس إلا قسما من شىء ليس بالجميل على الاطلاق !

ج — أى شىء ذاك ياسقراط ؟ تكلم دون أن تخشى إساءتى!

ط — حسن يا جورجياس : فانى أعتقد أنه عمل لا يحتاج إلى شىء من الفن ، ولكنه يتطلب فقط ذهناً فطناً جريئاً وقادراً بالطبع على الاتصال بالناس . وأساس هذا العمل كما أرى هو : الملق والرياء ، ويشمل الملق أقساماً كثيرة الطهي أحدها ، ويعد البعض هذا الأخير فناً ولكنى أراه مجرد تجربة وتمرين . كما أرى بالمثل أن البيان والتزين والسفسطة من أقسام الملق كذلك ، فكأننا لدينا أربعة أقسام تتصل بأربعة موضوعات

فاذا شاء بولوس الآن أن يسألنى فليفعل لأنى سأبين له من من أي أقسام الملق هو البيان في رأيى ، إذ هو لا يتصور أنى لم أجبه بعد عن هـذه النقطة ، وهو يلح فقط فى سؤالى عما إذا كنت أراه جميلاً ! ولكنى سوف لا أخبره إن كنت أعد البيان جميلاً أو قبيحاً قبل أن أجيبه : أى شىء هو ؟ وإلا فلن يكون كلامنا منطقيًّا يا بولوس ! وإذاً فسلنى — إذا كنت تريد أن تعرف — أى قسم من أقسام الملق هو البيان فى عرفى ؟

ب — إنى لأسائلك عن أى قسم هو ؟

ط — أترى ستفهم إجابتى ؟ إن البيان عندي صورة ومثال لأحد أقسام السياسة !

ب — وماذا تعنى بذلك ؟ أتريد أن تقول إنه جميل أم قبيح ؟

ط — أريد أن أقول إنه قبيح لأنى أسمى قبيحاً كل ما هو ردىء ! ما دام يجب أن أجيبك كما لو كنت تعرف ما أريد أن أقول[1]

ج — وأنا بالمثل لا أفهمك وحق زيوس يا سقراط !

(١) يقصد رسالة لبولوس أثبت فيها أن التجربة أساس الفن (المعرب)

(٢) لاحظ ضيق عقل بولوس وسرعته فى الأخذ بالقشور البراقة (المعرب)

(١) يلاحظ هنا أن سقراط يتهكم على بولوس الذى خرج من السياسة فجأة إلى الجمال والقبح كأنما يعرف ما فى عقله « المعرب »

ط — لست أعجب من ذلك لأنى لم أشرح بعد قولى! ولكن بولوس شاب متحمس !

ج — فلتدعه ولتخبرنى كيف تستطيع أن تقول إن البيان صورة ومثال لأحد أقسام السياسة ! ؟

ط — سأحاول إذاً أن أبين أى شىء هو البيان فى رأيى ، فإذا لم يك على ما أعتقد فليناقضنى بولوس : أهناك من غير شك ما يسمى بالجسد وما يسمى بالنفس ؟

ج — بلا تناقض

ط — ألا تعتقد أن لكل من هذين حالة تدعى « صحة » ؟

ج — بلى

ط — وقد تكون هذه الصحة ظاهرية فقط وليست بحقيقية ! أريد أن أقول إن كثيرين ممن يلوح أنهم ذوو جسم صحيح ضعاف فى صحتهم، وعسير على غير الطبيب أو مدرب الرياضة البدنية أن يتبين ذلك ؟!

ج — هذا صحيح

ط — وأدعى أنه يوجد فى النفس والجسد بالمثل ما يجعلهما يلوحان فى حالة جيدة بينما هما ليسا كذلك ؟

ج — إنك تقول حقاً[1]

« يتبع » محمد حسن ظاظا

(١) وسنرى فى العدد القادم كيف يعتبر سقراط كلا من البيان والطهى والتزين والسفسطة قسما من أقسام الملق والرياء « المعرب »

السلطتان الروحية والزمنية
كما يراهما الاسلام
للأستاذ عباس طه

كانت السلطة الزمنية والسلطة الروحية — ولا تزالان — فى تقدير الاسلام من أخص أوضاعه ومميزات أسراره

والسلطة الروحية هى التى تنظم علاقة الانسان بربه فى عباداته ومعاملاته الظاهرة والباطنة ، وتخضع ناموس المشاعر وقوانين القلوب لذلك السلطان القاهر الذى له الهيمنة على الانسان فى شتى مناحيه

والسلطة الزمنية هى التى تنظم علاقة الانسان بالانسان وترسم لتلك العلاقة حدوداً فى المعاملات بشتى ملابساتها وتتفرع عن هذه السلطة سلطات ثلاث : السلطة التشريعية والسلطة القضائية والسلطة التنفيذية

كانت هاتان السلطتان متلازمتين فى الاسلام ، فهما ملاك هذا الوجود وقطب رحاه ، وهما اللتان أقام منهما حارساً على بناء هذا المجتمع أن تنهار أسسه وتتداعى نظمه ؛ ذلك الاسلام فى مناعته وقوة حياطته وما كفله في أطوائه من تلمس أقوى العوامل فى إنهاض هذا المجتمع حتى يظل باقياً يؤدى رسالته ويذيع فى البشر أمانته إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها وهو خير الوارثين . وبدهى أن الاسلام دين روحى زمنى ينتظم فى أبلغ أوضاعه عملى الدنيا والآخرة ، فهو بطبيعة وجوده مصدر يصل بين حياتى المعاش والمعاد، ويكل إلى المضطلعين بأعباء السلطة الزمنية أن يستمدوا قوانينها ومبادئها وأحكامها من السلطة الروحية ، ضرورة أن السلطة الروحية قد فرضت الفروض ورسمت الحدود فى آى الفرقان بما يجمع تراثاً خصباً صالحاً حين ترجع إليه الرسل ومن بعدهم خلوفهم . من أجل ذلك رأينا رسول الله صلى الله عليه وسلم يستمد أحكام السلطة الدنيوية من السلطة الدينية لأنهما توأمان لا يمكن ألبتة الفصل بينهما إلا بتحكم الطغيان الجائم فيهما فقد درج الخلفاء الراشدون والصحابة من بعده صلى الله عليه

وسلم على تطبيق الجزئيات الفرعية والمسائل الوضعية التي لم ينص عليها قانون المسائل الكلية وإن شملها بالقواعد العامة المندرجة في أطوائه، وذلك يكون بالمقارنة والاستنباط وملاحظة المفاهيم العامة والمآخذ المطلقة ورد الفروع إلى أصولها. ومن هنا كان أصل القياس منبعثاً من منابع ثروة التشريع الاسلامي حتى لا تشذ الجزئيات عن كلياتها، وحتى لا تبطل في الأرض حجج الله وبيناته، وحتى ينتظم التشريع الإلهي حيوية تلك المجموعة الشمسية، ومن ذلك كان الاجماع القطعي من الطرائق العملية، حكمه في إثبات الأحكام الفرعية وتحقيق النظريات الفقهية حكم الكتاب والسنة والقياس مع الفارق المرسوم بين هذه الأصول الأربعة قوة وضعفاً ، وفي توجيه النصوص الروحية أو الزمنية الصرفة وما كانت مزيجاً منهما

لذلك لما كان الاسلام دين تشريع وهداية كان تطبيق الأحكام على الناس حسب مقتضيات الأحوال ومناسبات الأسباب والعلل، فمن المتعذر أن يؤخذ الناس بأحكامه طفرة واحدة ضرورة أنهم لم يمرنوا على مثل هذه الطفرات في إبان ظهوره خصوصاً ما كان متعلقاً منه بأمور لم يكن لهم بها عهد ولا ممارسة ، فكان بدهياً أن يحمل الدين الاسلامي في أطوائه تينك السلطتين: السلطة الزمنية والسلطة الروحية، لتكون له المكنة مجتمعة من تنظيم حياتي المعاش والمعاد عند معتنقيه، وإقامة المجتمع على مناهج لا عوج فيها ولا أمت حتى تكون طريقاً إلى الحياة الأخرى في أسعد غاياتها وأرفه نهاياتها . وإلا فلو أغفل الاسلام تلك السلطة الزمنية وبقي لا يحمل إلا السلطة الروحية لكان ديناً كهنوتياً في مراميه، ولأجفل الناس عنه إجفالا يمكن لهم في الفوضى وسوء المنقلب، ولتراخت الهمم وتخاذلت العزائم وأصبح المسلمون شيئاً لا يحده قانون الاجتماع ولا تعرفه نواميس البشرية

كذلك لو أغفل الاسلام السلطة الروحية وظل مستمسكا بالسلطة الزمنية لكان مزيجاً من أخلاق متدافعة وعادات متناقضة، ولكان قصارى جهد معتنقيه أن يخضعوا لنواميس هذا المجتمع في علله وأوصابه وتدافع أسبابه، وأن تكون الغلبة فيهم للقوى المادي، وأن توجد الفروق بين الطبقات والأسر والقبائل والبطون قلة وكثرة وقوة وضعفاً وعزة وذلة، والأشياء ونقائضها، فلا يعدو أن يكون كالشريعة الرومانية أو الفقه الروماني ارتحلت صولته وبقيت محنته وسقطت هيبته وزالت روعته ، ثم هو بعد لا يعدو أن يكون بين الأجيال المتلاحقة أنباء قصصية ونظريات فلسفية أفلاطونية ، تعالى الاسلام عن ذلك علواً كبيراً

من أجل ذلك مشت السلطة الزمنية في الاسلام بجانب السلطة الروحية في نظام الحكومة على معنى أن نظام الحكومة كان مستهدياً في جميع أدواره بهدى السلطة الروحية ، وكانت السلطة الزمنية أساساً من الأسس السماوية التي جاء بها الكتاب لترسم الحدود وتقيم المعالم وتشمر الحاكمين والمحكومين بتبعاتهم كل في حدود عمله، وتقوم على رعاية الأنظمة البشرية في المعاملات المختلفة سواء منها ما كان متعلقاً بأحوالهم الشخصية أو بالمعاملات المتبادلة بينهم القائمة على البيع والشراء وما يلحق بهما حتى في الحكومات التي لم يكن لها لون ديني بالمعنى المفهوم. وكثيراً ما لجأ الملوك والأمراء في عهود سابقة إلى حملة الشريعة وحماة الدين إذا عميت السبل عليهم في المعضلات وحجبتهم الجهالة المطلقة عن الوصول إلى شاكلة الصواب، يتعرفون منهم المنهاج الصالح لشكل الحكومة وترسيخها على أمتن الدعائم حتى تبقى تلك الحكومة بما تستمده من هدى الفرقان محتفظة بهيبتها وجلالها ومحبة الشعب لها ، لأن الشعب إذا استيقن نزاهة الحكم وتوزيع العدالة بين الأفراد بالقسطاس ، المستقيم وقتل روح الأثرة ، والاستجابة إلى داعية القربى والمصاهرة ، والتفرقة بين العمال الموكلة بهم خدمة الجماهير ورعاية مصالحهم في فرض الجمالات وسن الاتاوات وتغليب عوامل التشهي على أي عامل آخر ، وسم خصومها بميسم الخيانة العظمى، واختلاق الأكاذيب عليهم، وبث عوامل الشكوك والريب في نفوس الجماعات في أولئك الخصوم وتأليب الأوشاب والدهماء على منافسيهم — اتخذوا من تلك الحكومة مثلا صالحاً وأحلوها من قلوبهم محل الشغاف ، والعكس بالعكس

حمل الاسلام فيما حمل من أسمى المبادئ مبدأ الشورى لتكون أساس الحكومة الصالحة ودعامته ، تتلاقى عندها سائر الرغبات والأماني، لأن الشورى في أبسط أحكامها خير من رأي الفرد ، فهي وليدة آراء مستخلصة من قوة الجماعة لا يراد بها غير إسعاد المجموع وإشعاره بمبدأ العدالة والمساواة حتى يظل آمناً في سربه حصيناً في أغراضه ومراميه ، وإن لم تكن الشورى القائمة بيننا

الآن فى الشرق والغرب هي التي تمنيها مبادئ الاسلام فالشورى التي تمنيها مبادئ الاسلام هى المستخلصة من قوة الجماعة كما قلنا ليس فيها أثارة من تشيع لهوى أو أخذ بتحيزة أو إصغاء إلى ضغن فى سائر مرافق الدولة

من أجل ذلك نرى فقهاء القانون الدستورى فى حواضر أوربا يقيمون النظريات الصادقة على فشل الحياة النيابية فى الأمم المتحضرة فى عصرنا الراهن، وعجز الدستور بأحكامه عن أن يخلع على الناس خير الأشكال يقيمون عليه دعائم حياتهم وأسس وجودهم . وكثيراً ما تحاكم المسلمون فى صدر الاسلام إلى الكتاب والسنة فما ضلوا فى حياتهم وما حادوا عن الجادة الواضحة قيد أنملة، لأنهم اطرحوا دواعى النزوات واستجابوا دواعى الاخلاص لله فى السر والعلانية فمكن لهم فى الأرض وخضعت لسلطانهم شعوب وقبائل

قرر الاسلام السلطتين الزمنية والروحية معاً فلا يمكن فصل إحدى السلطتين عن الأخرى لأنهما متلازمتان فى وجودهما .

فالسلطة الزمنية ترسم شكل الحكومة ومقاصدها المختلفة ، وتؤسس الأنظمة المتنوعة لشتى الأفراد والأسر والجماعات والقبائل والأمم ، وتضع أحكام الحرب والسلم وسياسة القضاء والادارة ونواميس الاجتماع ؟ ثم هى تنساب بعد إلى الأحوال الشخصية المتعلقة بذات الانسان فتنشئ علاقة زوجية صالحة بين الرجل والمرأة وترتب عليها حقوقاً قبل المرأة وحقوقاً قبل الرجل، ثم تتناول أحكام الإرث فتوزع الأنصباء من تركة الميت على ذويها توزيعاً قائماً على أدق أنواع الرعاية وأحكم مراميها ، ثم تتعهد الحاكمين بالوصايا الجامعة حتى لا يندوا عن شريعة الحق ولا تصغى قلوبهم إلى شوائب الهوى ، ثم تهيب بالمحكومين إلى السمع والطاعة فيما أمر الله ، وبهذا التساند بين الهيئتين ينتظم الأمة والحكومة عدل قائم على الاخلاص المتبادل وتسودهما روح طيبة فى مرافق البلاد وحيويتها

لقد جمع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلوفه من بعده فى يديه بين السلطة الروحية والسلطة الزمنية فأقام بهاتين السلطتين خير حكومة من حكومات الأرض فى تاريخ البشرية، وأسس للانسانية العامة أفضل المناهج فى الحكم حتى فاضت القلوب باليقين الراسخ والطمأنينة الشاملة ، ولا أدل على ذلك من أقوال الرسول وأعماله وما ينزل به الملك من الآيات منجمة بحسب الوقائع سواء أكان ذلك متعلقاً بأمر من أمور المعاش أم المعاد إذا استثنينا بعض مسائل تقليدية تافهة لا يتصل وجودها بقانون الحكومة أو الاجتماع ، ثم درج من بعده خلوفه على قدمه صلى الله عليه وسلم فكانوا نعم الخلف لنعم السلف . وناهيك بعمر الفاروق الذى كثرت على يديه الفتوح الاسلامية مؤسسة على الكتاب والسنة وهدى الرسول الأعظم، فاستدام بذلك القاموس السماوى أصلح الطرائق فى أنواع الحكم وأهدى السبل فى إسعاد الأفراد والجماعات والأمم ، ولا يزال الاسلام يذيع فى الناس رسالته متعلقة بالسلطة الزمنية إلى يومنا هذا ، فهو يعنى بنشر هذه السلطة ألا توجد فروق موهنة ذات أثر سيء فى كيان الشعوب ووجودها على معنى أنه يريد التوحيد بين الأمم فى الأخلاق والعادات وأن يسودها نوع من المعاملات صالح يوحد بين مرافقها ويجمع بين شتاتها وان اختلفت لغة وإقليما وترتب على ذلك الاختلاف تباين في العادات ضرورة أن تلك الأمم المتخالفة لغة وإقليما لو خلت من تطبيق السلطة الزمنية وهيمنتها على مرافقها لكانت لكل أمة ندحة أن تسن لها تشريعا إسلاميا ينشىء قانون شكل الحكومة وأنواع المعاملات، على حين أن الجميع يدينون بالسلطة الروحية ويؤمنون بحياة المعاد فى قرارة نفوسهم .

وهذا من غير شك من شأنه أن يفت فى عضد المسلمين وأن يوتر ما بينهم من صلات وأن يجعلهم خاضعين لأحكام قوانين وضعية لا تثبت صلاحيتها لحكم الشعوب إلا بمقدار ما تتوارى عيوبها وأخطاؤها ، فاذا دلت التجارب على فساد أحكامها وعقم نتائجها فما أسرع العدول عنها وأن تصير فى تراث الماضي البغيض

أما تلك الشريعة السماوية فهى شريعة الخلود والبقاء لأنها جمعت بين حلقات الزمن من دابر وحاضر فوضعت لكل عصر وجيل أحكامه وطرائقه فكانت شريعة الاسلام خير الشرائع وأمثل القوانين

وغنى عن البيان بعد هذا التقرير أن الذين يقولون بضرورة فصل السلطتين وبالتالى فصل الدين عن السياسة قد جهلوا حقائق

الاسلام أو على الأقل تجاهلوا نظام الحكم فيه فى عهد النبي صلى الله عليه وسلم وفى عهد خلوفه من بعده، أولئك النُّـر الميامين الأطهار الذين حكموا دينهم فى الدولة فسادوا لأنهم قضوا بهـذه السياسة الماليـة أوطار الأفراد والجماعات وحققوا لهم كل رغبة صالحة ثم اجتاحوا لوثة الوثنية ومستهجن العادات فى عهود الجاهلية

ولعل النمط الذى جرى عليه توزيع الزكاة والصدقات وإقامة الولاة فى الدولة ورسم الحدود ووضع الخطط التى ينتهجونها فى أمثل حكومة عادلة بواسطة برامج تكشف لهم حقيقة حكم الشعوب الداخلة فى الاسلام وأخـذهم بالموادة فى موضعها وتيسير الأمور عليهم حين لا يضيق عنهم التيسير ونوع معاملة أولئك الولاة للذمى والحربى والمدى الذى توزع به السلطات بين شؤون الرعية آية الآيات على أن الاسلام فى حقيقته لا يعرف الفصل بين السلطتين، لكن قد تغلغلت المدنية الآرية فى الشرق فانطمست معها الحقائق وغابت السلطة الزمنية للإسلام بتضافر شتى العوامل مما سنكشف عنه فى أعداد تالية إن شاء الله

عباس طه
المحامى الشرعى

حرمة البيـــــان

للأستاذ عبد المنعم خلاف

— ٢ —

لا تزال فى نفسى بقية من هذا الحديث، هى حديثى عن واجب الأدباء فى أن يكونوا مخلصين لفنهم وأنفسهم فيصنعوا المقـالة الأدبية كما يصنع المهندس بيتا لنفسه يعيش فيه، يرى فيه ويرى له الناس أنه مأواه وحصنه وعش أطفاله.

حينئذ سيلمس القارئون نبضات قلوب الكتاب فى الألفاظ كأنهم يضعون أيديهم منها على أجسام حية . . . وحينئذ سيعز على الكتاب أن يرسموا صورا بأيديهم ثم يدوسوها بنعالهم . . وأن يخلقوا خلقا جميلا ثم يئدوه ويدفنوه . . .

فمن حرمة البيان أن يعيش فيـه أصحابه ولا يتركوه ألفاظا خربة كالتماثيل الجامدة القائمة من غير روح الحياة .

أجل ! إن صنع الألفاظ أكبر مسئولية من صنع التماثيـل والدمى والصور، يحتاج إلى أن ينطق بها صاحبها ويفعل ماينطق . فاذا خص أديب الطبقة الفقيرة برعاية قلمه فواجب أن يخصهم برعاية جيبه ...

وإذا أكثر من أدب القوة فليكثر على الأقل — من مواقف الرجولة والبطولة في محيطه

وإذا أدمن على تصوير الجمال فلاأقل من أن يكون نظيف النفس والثوب مهندم المظهر بقدر الامكان ..

وإذا أكثر فى أدب النفس فحـذار أن يخالف عن أمره فيقذف من حالق وتهوى به الألسنة والأقلام فى مكان سحيق، ثم يرجم برجوم من ألفاظه هو ..

وهكذا يعيش الأديب الحق كما تعيش دودة القز لعمل القز ثم «تموت» فى صميم ما صنعت لتُبعث منه خلقاً آخر : فراشاً جميلاً طائراً على الأزهار ... وكذلك يبعث الأديب الصافي بعد موته روحاً رفافاً على الأرواح ...

أريد وأتمنى أن يعيش الأديب المبين دائماً بصميم نفسه التى يرسمها فى صحفه ولا يدعها تفارقه لحظة ...

فالذين يواجهون الحياة دائماً بنفوسهم وبمثلها العالى وبوسيلتها إليـه وإيمانها به ... هؤلاء هم الذين يتركون آثارهم ويشقون طريقهم ولو فى الصخور ... لأنهم ألحوا على جبهة واحدة فى الحياة ، ولم يتخذوا لأقلامهم سبيلا عوجاء ؛ فكان من اللازم المحتوم أن ينفذوا من السدود، ولو كان مبلغ آثارهم قطرة واحدة متكررة دائبة كما يقول إنجيل برنابا ما معناه : القطرة الصغيرة المتكررة تشق الصخرة الكبيرة أو تترك فيها آثارها

والأديب المخلص لمثاله العالي الذى يصوره لا يتعب دارسيه فى تطبيق حياته على آرائه ، ولا يحملهم على الاسراع بالشك فى تلك الآراء حين يرونه فى حياته الخاصـة بعيداً عنها مكذباً لها ولا يحملهم كذلك على رجمه بألفاظه كما رجم حسان بن ثابت بأبياته فى الشجاعة إذ كان جباناً ، وكما رجم أبو العتاهية بأبياته فى الزهد إذ كان بخيلا ، وكما رجم البحترى بأبياته فى الجمال إذ كان قذرا ، وكما رجم المتنبي بأبياته فى الحكمة إذ كان أخرق وإن كان قد كفر عن جرمه هـذا باسراعه إلى تلبية نداء شعره

حين ذكره غلامه ببيته : الخيل والليل والبيداء... الخ. وقتل دفاعاً عن حرمة بيانه ، وكتب بيته ذاك بدمه بعد أن كتبه بمداده ...

فأمثال من ذكرنا من الأدباء حكم عليهم التاريخ ببقاء ألفاظهم خربة من نفوسهم . ولكن ما الفائدة من أن أقول قال فلان كذا ... بينما تاريخ فلان هذا يقول لي كذب صاحبك ! لاجرم أن تطير هالة الخيال إذا رُئي المثال ، وأن يدخل البيان إلى النفس في استحياء وخجل تكاد تُزْلقه عيون الشبهات !

فالخلود الحق للأديب أن تعيش نفسه في نفوس قارئيه مع كل كلمة من كلامه تملؤها وتشرحها وتشير إلى النموذج الذي حققته الحياة ...

فليحذر الأدباء أن يحكم على ألفاظهم رعاة الانسانية الذين وضعت الأقدار في أيديهم موازين الحكم والنقد والاعتبار كما حكم محمد رسول الله على أمية بن أبي الصلت أنه « قد آمن شعره وكفر قلبه »

***

أما بالطبع في دنيا غير دنيا أكثر الأدباء التي يعيشون فيها ويأخذون منها أفكارهم... أناديهم من مكان بعيد... ولكن ما حيلتي والحقائق الكبرى في الحياة هي التي توحي بذلك ... الايمان والحق والخير والجمال والحب والقوة، تلك المعاني التي حملها وحدها الرجال الأمهات ... ! الذين ولدوا الانسانية وعاشوا لها وعاشت في نفوسهم وتقاليدهم ...

ولم يخلد من الأدباء بل من الناس جميعاً إلا خدام هذه الحقائق مجتمعة أو منفردة . وخدمتها لا تكون أول ما تكون بألفاظ وأناشيد ... وإنما بالنفس ! ومعنى خدمتها بالنفس أن تفقهها وتراها رأى العين أنها أعمدة السموات والأرض فتلوذ بها وتعيش معها دائماً ، ثم تخلقها هي مرة ثانية بالقول الجميل أو اللحن الجميل أو الرسم الجميل ...

إني إنسان سائر مع الطبيعة ... أستحي من وجوهها الصادقة أن أمر عليها بوجه كاذب ... وإن صداقتي لها أمر ثمين عندي أثمن من صداقة الناس .. وإني أستحي من الجماد والنبات والحيوان أن أكون أقل منه صيانة لقوانين الله بارئي وباريء الفطرة ... والتناسق والنظام يحتمان عليّ أن أسير في مواكب الطبيعة على قدم واحدة وموسيقى واحدة وإشارة واحدة ...

لماذا يكذب الانسان وحده ؟ ! إن النحلة لا تخرج علقما .. والحية لا تقبِّل الخدود ... والحنظلة لا تنبت عقارب ... والنار تحرق دائما .. والماء يغرق دائما ...

إن كل شيء صادق في الدنيا فلماذا نكذب نحن ؟!

عجبا أعجبه معك ياأبا العلاء حين تسأل عن النجوم :

وتكذب؟! إن المين في آل آدم غرائز جاءت بالنفاق وبالعهر

***

نكبة الأدب هي التزوير فيه : تزوير النفس وتزوير الحياة حتى تستحيل إلى خيال شارد ..

لماذا يتغزلون وهم لا يحبون ؟ ولماذا يمدحون وهم يكرهون ؟ ولماذا يتظرفون وهم ثقلاء ؟ ولماذا يتحمسون وهم خونة جبناء ؟ ولماذا يفخرون وهم ناقصون ؟ ولماذا يسودون الحياة في وجه الناس وهي بيضاء ، ويبيضونها وهي سوداء؟ لماذا يبلبلون قلوب الناشئين ويبذرون فيها بذور الشك في الحقائق الثابتة التي لا يمكن الدنو منها والحكم عليها إلا بعد الامتلاء والانتهاء من العلم والدين والفن وتجارب الحياة ؟

أكل هذا لفتنة القول والقوافي والأسجاع والنكات والشهرة؟!

أنت علل المنون فما بكلام من اللفظ الصحيحُ ولا العليلُ

كلا بل ضحكت منهم الألفاظ وشيعتهم ساخرة يا أبا العلاء !

إن الخواطر لا تنتهي ، وإطلاقها ينتهي بعقول أصحابها إلى الجنون ... وحرية الأفكار ليس معناها حرية الطباع ، والحرية الفكرية معناها تقديم مقترحات ضد بعض الأوضاع والتقاليد التي يرى ناقدها أنها فاسدة ولكن في عرض جميل ... لا تقديم خواطر تهجم على حق أو تجرح فضيلة ...

ويا ويل من يقع قلبه فريسة لأدب الأدباء المزورين ! إنه لا يتيقظ إلى أنهم متناقضون متهافتون إلا بعد فوات الأوان... بعد أن ينطبع ذهنه على قبول الخيال الناقص والكذب ويتقيء الحقائق ولا يهضمها . والأدباء المزورون أهل شطحات ، ينسون فيها كل ماضيهم وآرائهم فيناقضون أنفسهم مناقضة فاضحة إلى حد أن يحكموا على أنفسهم أحكاماً قاسية مسقطة لمدائنهم الأدبية وهم لا يشعرون

وهم لا يصدرون آراءهم عن وجهة واحدة في الحياة ، ولذلك تراهم « في كل واد يهيمون » وليس لهم مذهب ورأى ذو سلطان له مدرسة وتلاميذ يتشيعون له ويعيشون لنشره وشموله

ولو اقتصر كل منهم على المتح مما فى نفسه من منابع الالهام وعلى رصد مخلوقات قلبه ، ولم يتكلف نظم قول لا يؤمن به ولا يحسه حيًّا فى نفسه ، إذاً لظفرت الآداب بكنوز من دفائن القلوب، ولأحس القارئون حين يقصدون إلى فصل أدبى ، أنهم قادمون على معرض جميل من معارض الحياة لفنان صادق ... فواجبهم أن يستحضروا الجد ويقظة الدرس والتحصيل لما فى هذا المعرض من آراء وأرصاد ورؤى وفكاهات وعظات قنصها ذلك الفنان الصادق من خواطره وإلهامه ليقدمها للناس على أنها نتيجة التقائه بالحياة ...

ومجتمع الرأى : أننى لا أومن بالأدب ولا أعترف بحرمة البيان — ذلك الجانب المقدس فى الانسان — على أنه تسلية وتزجية فراغ تقصده النفس فى غير إجلال ، وتلعب فيه الأيدى بالأقلام لعب الأرجل بالكرة ... وإنما أومن به على أنه — فى مجموعه — معرض للآراء المصححة لأغلاط الحياة ، وللمشاعر النبيلة من حياة القلوب ، وللموسيقى اللفظية التى تساعد على خلق جو روحى أثناء القراءة

وأختم هذا الحديث بإيراد أقصوصة تمثيلية قرأتها فى بعض الآثار اليهودية ، وهى تمثل حرمة البيان وجنابه المعظم :

قيل إنه لما فرغ الله من خلق الدنيا قال لأحد الملائكة : أنظر هل ترى فى السماء والأرض والماء والهواء نقصاً ؟ فنظر ثم عاد فقال : لا ينقصها إلا شىء واحد يا رب ، هو الكلام الذى يبين ما فيها ويتحدث عنها . فخلق الله ذلك النوع الممتاز !

(القاهرة) عبد المنعم محمد خلاف

حـــواء

ديوان شعر طريف فى المرأة يصدره الأستاذ الحوماني وتقدم الرسالة منه بضعة نماذج لقرائها قبل صدوره فى مئتى وجه ثمنه عشرة قروش صاغ قبل صدوره ويطلب من إدارة الرسالة

دموع قيثارة

يتصبّانى من الروض إلى ... وجهكِ الفاتن أرضٌ وسماء
الثرى عينٌ وخدٌ وفمٌ ... والسما نورٌ وعطرٌ وغناء
يستظلُّ الزهر أفياء المنى ... والمنى تطغى عليها الخُيَلاء
فتمجُّ الشمس فى أعطافها ... خمرة نكرع منها ما نشاء
يتصبانى إلى عينيكِ من ... روضتى غصنٌ وعصفورٌ وماء
يتغنين فيملأنَ فمى ... ضرَباً تغرف منه الندماء
يا لها قيثارة ، ملء يدى ... من مآقيها دموعٌ ودماء
خفقت بين يديها كبدى ... فجثت بين يدىّ الشعراء

بعض كيانى

ألهمينى سرَّ عينيكِ وما ... يعتريني كلما أبصر ثاني
كم تساءلتُ ونفسى عنهما ... وتحرّيتُ شعورى وبيانى
فإذا زهرهما ملء فمي ... وإذا عطرهما ملء جنانى
وإذا السرُّ الذي أنشده ... فوق ما يشعر قلبي ولسانى
ربما ألهمني سحرهما ... روعةً تملأ بى كل مكان
وأراني همتُ فى الأرض فما ... وسعتْ رقعتها بعض كيانى
وتشوّفتُ إلى الأفق الذى ... يسع الشعر فأعياني عياني

الحومانى

للأدب والتاريخ

مصطفى صادق الرافعي

١٨٨٠ – ١٩٣٧

للأستاذ محمد سعيد العريان

— ٣٦ —

مقالات للرسالة (٧)

كان الرافعي قلما يجلس إلى مكتبه في المحكمة إلا أن يكون له عمل؛ فإذا لم يجد له عملا في المحكمة انصرف لوقته إلى حيث يشاء غير مقيد بموعد من مواعيد الوظيفة. وكان يزورني أحيانا في المدرسة ليقضي معي وقتا من الوقت أو ليصحبني لبعض حاجته. وكان يغبطني على عملي ويزعم أنه لو كان في مثل هذا الجو المدرسي لوجد لنفسه كل يوم مادةً تلهمه الفكر والبيان؛ ويعجب لي كيف لا أجد في صحبة هؤلاء الصغار الذين يعيشون في حقيقة الحياة ما يوقظ في نفسي معنى الشعر والحكمة والفلسفة ...

وزارني يوما، وكان من تلاميذي في المدرسة طفل في العاشرة أبوه من ذوي الحول والسلطان؛ فكان يصحبه شرطيٌّ كل يوم إلى المدرسة ويعود به، وكان فتى لدنا، فيه طراوة وأنوثة، وله دلال وصلف، فاتفق أن حضر إليّ لشأن ما والرافعي معي، ووقف الشرطي ينتظره على مقربة من مجلسنا؛ ونظر الرافعي إليه وقد وقف يكلمني وهو يتثنى ويتخلّع لا يكاد يتقارّ في موضعه ...

ثم انصرف الغلام وانصرف الشرطي وراءه يحمل حقيبته، والتفت الرافعي إليّ يسألني: «... وبين تلاميذك كثير من مثل هذا الشّمعون؟»

وكلمة «شمعون» عند الرافعي هي عَلَم مشترك لكل فتى جميل. وتاريخ هذا الاسم قديم، يرجع إلى أيام صلة الرافعي بالمرحوم الكاظمي الشاعر؛ إذ كان الكاظمي له صديق من الغلمان يحبه ويؤثره ويخصه بالسر ... وكان اسمه «شمعون» — قال لي الرافعي: «وكان فتى جميلا لولا ثياب الغلمان لحسبته أنثى...!» — ورآه الرافعي كثيرا في صحبة الكاظمي، فوعى اسمه وصورته، ثم كان اسمه عند الرافعي من بعدُ علما على كل غلام متأنث ...

... قلت للرافعي: «هذا ابن فلان الحاكم، وهذا الشرطي الذي يتبعه هو من جنود أبيه، وإن من خبره ...»

قال الرافعي: «وهذا موضوع جديد!»

فهذا كان سبب إنشائه قصة «الطفولتان»

* * *

وكان الرافعي يؤمن بالغيب إيمانا عميقا لا ينفذ إليه الشك. وكان له عن الشياطين والملائكة، وعن الوحي والالهام، وعن تجاوب الأرواح في اليقظة والنوم، أحاديث ينكرها كثير من شباب هذا الجيل ...

... وكان له — إلى إيمانه وتديُّنه — نزوات بشرية تعقبها التوبة والندم، فكان أكثر وقته على تربص دائم من وسوسة الشيطان، فكان إذا مرت أمامه امرأة فأتبعها عينيه، أو سمع حديثاً عن غائب فتعقبه بالحديث عن بعض شأنه، أو ناله أحد بمساءة فردها إليه، استعاذ وحوقل، وقال: هذا من عمل الشيطان! ... وإذا همت نفسه بشيء تنكره المروءة، أو دعته داعية من هواه إلى ما يتحرج منه المؤمن، أو صرفه شأن من شئون الحياة عن واجب من واجبه، حمل نفسه على مالا تحتمل، وأنكر على نفسه ما همت به أودعت إليه أو انصرفت عنه، وذم الشيطان وتجنى عليه الذنب. وفي مقالته «دعابة إبليس» حديث يحقق هذا المعنى

... فاني لَمَعَه ذات مساء إذ جاءه البريد برسالة من آنسة في دمشق، ومعها صورتها مهداة إليه، تبثه لواعجها وأشجانها، وتشكو إليه أنها ... مفتقرة إلى رجل!

ونظر الرافعي إلى صورة الفتاة فأطال النظر، ووقف الشيطان بينه وبين الصورة يحاول أن يزيدها في وهمه حسناً إلى حسن، ويرسم له خطة ...

ثم وضع الرافعي الصورة في غلافها وهو يقول: «أعوذ بالله من الشيطان ... أمَا إنه ... »

وقال شاب في المجلس: «وهل الشيطان إلا هوى النفس؟»

وقال الرافعي: «وهل تنكر ...؟»

وطال الجدل، ومضى الحديث في فنون ...

من هذا الحديث وهذه الحادثة كانت مقالة « الشيطان »

* * *

وكان لولده الأستاذ سامى زوج لم يدخل بها ، وقد مرضت بذات الصدر بعد ما سماها وعقد عليها ؛ فأقامت زمناً فى مصحة حلوان ؛ ثم ارتدت إلى طنطا لتقيم بين أسرتها ما بقى ، وزوجها حنىّ بها قائم على شئونها ، ثم جاء موعدها فدُعى الرافعى ليراها فجلس إلى جانبها لحظات وهى تحتضر ، فكان له من هذا المجلس القصير ، مقالة « عروس تزَفّ إلى قبرها ! »

كنت ليلتئذ على موعد معه فى القهوة ، فظللت أنتظره ساعات ولم يخلف الرافعى موعده معى مرة من قبل ، فلما طال بى الانتظار مضيت لشأنى . وفى الصباح جاءنى نعى الفتاة فعرفت عذره ؛ فلما كان العصر ذهبت فى نفر من الأصحاب لتعزيته فى دار صهره ، والتمسناه فما وجدناه ، وسألنا عنه فعرفنا أنه آب إلى داره بعد الجنازة لبعض شأنه ؛ ولقيته بعدها فعرفت أنه ترك المأتم والمعزين ليفرغ لكتابة مقاله قبل أن تذهب معانيه من نفسه !

يرحمه الله! لم يكن يمر به حادث يألم له ، أو يقع له حظ يسرّ به إلا كان له من هذا وذلك مادة للفكر والبيان ، وكأنما كل ما فى الحياة من مسرات وآلام مسخرة لفنه ؛ فهى عند الناس مسرات وآلام ، وهى له أقدار مقدورة ليبدع بها ما يبدع فى تصوير الحياة على طبيعتها وفى شتى ألوانها ، ليزيد بها فى البيان العربى ثروة تبقى على العصور ، وهو إخلاص للفن لم أعرفه فى أحدغير الرافعى!

* * *

وإذْ ذكرت السبب الذى دعا الرافعى إلى إنشاء مقالة « عروس تُزف إلى قبرها ! » أرانى مسوقاً إلى ذكر حديث بينى وبين الرافعى يتصل بهذا الموضوع ، وإنه ليدل على خلق الرافعى وطبعه ، وهو بسبب مما سميته فيه من قبل «فلسفة الرضا»

لم يكن لأحد رأى فى خطبة هذه العروس إلى سامى ، ولكنه هو خطبها لنفسه ، وكان يحبها ويرجوها لنفسه من زمان، ولم يكن بينهما حجاب ، فإنها بنت خاله ؛ فلما أجمع أمره على خطبتها بعد ما تخرج وصار له مرتب يكفيه[1] ، ذهب يعرض أمره على والده ، فعارضه فيما ذهب إليه لسبب سببه ، ولكنه مع اعتداده برأيه فى هذه المعارضة تركه لهواه ولم يفرض عليه رأيه ؛ إذ كان يرى من حق ولده أن يختار زوجته لنفسه ، فليس له عليه فى هذا الشأن إلا أن يبذل له النصح ، ثم يدع له الخيرة فى أمره

وخطب سامى فتاته ، وعقد عقده . وكان جوه يعمل فى مال فأكلته الأزمة ، وقُدر عليه رزقه بعد سعة ؛ ثم مرضت الفتاة مرضها ، فأكرمها زوجها وقام على شئونها ، وأنفق ما أنفق فى طبها وعلاجها سنتين أو يزيد ، بين طنطا وحلوان !

وتداعت فنون الحديث يوماً بينى وبين الرافعى حتى جاء ذكر سامى وزوجته ، وكانت ما تزال فى مصحة حلوان ؛ فقال لى الرافعى : « أنظر ! إنها حكمة الله فيما يجرى به القدر ! ضلّت البشرية إن هى حاولت النفاذ إلى الغيب لتتحكم فى أقدار الناس .. ليس للإنسان خيرة من أمره ، ولكنه قدر مقدور منذ الأزل يربط أسباباً بأسباب ، ويجرى بالحياة وحدة متماسكة ، فما يجرى هنا هو بسبب مما يجرى هناك ، فلا انفصال لشىء منها عن شىء ... تُرى مَنذا كان ينفق على هذه المسكينة ليطب لها من دائها لو لم تكن الأقدار قد أحكمتْ نظامَها وكان سامى هو زوجها ؟ هل كان إصراره على الزواج منها بعد ماقدّمتُ له من الرأى والنصيحة إلا لأنه فى تدبير القدر مرجوٌّ لهذا الواجب من بعد . لقد كنت مستيقناً من أول يوم أن من وراء هذا الزواج حكمة خافية ، وإننى اليوم وقد انكشف لى هذا السر العجيب فى حكمته البالغة لأشعر بكثير من الرضى إلى ما كان ! »

* * *

ثم كتب مقالة « بين خروفين »

وهى تمتّ بسبب إلى مقالة « حديث قطين » ؛ وفيها حديث عن ولده عبد الرحمن ، وهو أصغر بنيه ؛ وكان الرافعى يرجوه ليكون من أهل الأدب ؛ فما يزال يستحثه ويحمله على الدأب والمثابرة ليكون كما يرجو أبوه ، ويحمله بذلك الرجاء على مالايحتمل. وكان (الايحاء) وسيلة الرافعى إلى تشجيعه وتحميسه إلى العمل ؛ ويبدو مَثل من هذا الإيحاء فيما تحدث به الرافعى عنه فى أول هذا المقال

---

(١) كان سامى معيداً فى كلية الزراعة قبل أن يذهب فى بعثة الجامعة إلى أمريكا

وكان الرافعي معنياً بمستقبل أولاده عناية كبيرة ، فكان يحملهم على العمل بوسائل شتى . وكثيراً ما كان يرسم لهم الخطة للتحصيل والمذاكرة ، وقد وجدت بين أوراقه حديثاً له إلى ولده إبراهيم ينصحه ويرسم له منهجاً ليهيئ نفسه للامتحان ، لو أنه اتبعه لكان اليوم غير ما هو !

ومن أجل أولاده أنشأ كثيراً من المقالات عن عيوب الامتحانات لمناسبات مختلفة كان ينشرها في المقطم ؛ وكانت له طلبات ومقترحات إلى وزارة المعارف أجابت أكثرها ولم ينتفع بها أحد من ولده ومن أجلهم أنشأها !

أنشأ هذه المقالة قبيل عيد الأضحى ، وكان اشترى خروفين للتضحية أودعهما فوق سطح الدار إلى ميعاد ؛ فما نزعه إلى كتابة هذا المقال إلا هذان الخروفان ، ثم حاجته إلى أن يقدم إلى ولده نموذجاً في الإنشاء يعينه على بعض واجبه المدرسي

***

وكان للرافعي رأي فيما تنقل الصحف من أخبار تركيا تفسره مقالة « تاريخ يتكلم »

وقد دعاه إلى إنشاء هـذا المقال أخبار تناقلتها الصحف في ذلك الوقت عن أحداث تجرى في تركيا ، رأى فيها مشابه من حوادث سبقتها في مصر قبـل ذلك بألف سنة في أيام الحاكم بأمر الله الفاطمي

وفي أحيان كثيرة كانت تثور نفس الرافعي لما يسمع من أخبار تركيا فيهم أن يكتب ثم يمنعه من ذلك خشيته أن يكون فيما يكتبه شيء يقفه موقف المسئول عن غلطة تعكر صفاء ما بين الدولتين ؛ ثم جاءت مناسبة هذه المقالة فأنشأها وجعل الحديث فيها عن الحاكم بأمر الله وهو يعني رئيس الجمهورية التركية ؛ وكانت هذه التعمية وسيلته ليتهرب من التبعة السياسية ، ومنها كان الغموض في كثير من معانيه ؛ فمن شاء فليعد إلى هذا المقال ليقرأه وقد عرف دواعيه ، فلعله لا يجد فيه غموضاً من بعد

ومن أجل هذا السبب ولهذا القصد نفسه كان مقالة « كفر الذبابة » الذي أنشأه على أسلوب كليلة ودمنة بعد ذلك بأشهر .

« سيدى بشر » محمد سعيد العريان

تحرير الألفاظ

الروعـــة والطرب

للاستاذ محمد شوقي أمين

تقول اللغة في مشهور ما تقول : طرب الرجـل : فرح ، وطرب: حزن. وتقول أيضاً : راعه الأمر أعجبه، وراعه: أفزعه

والقائم في الأذهان أن لفظي الروعة والطرب من باب الأضداد المتعارف شأنها في خصائص الفصحى ؛ على حين أنهما في الحق لا يدلان على واحد من الضدين بعينه حقيقة ووضعاً ، لحقيقتهما ووضعهما للموجان والتضرب لاغير . فالروعة والطرب يدلان كلاهما على اهتزاز النفس وتحركها ، وهيج الخاطر وتأثره؛ وإنما يدل كل منهما على معنيي الفرح والحزن دلالة مجازية يبين السياق نص موقعها من الإبانة والافهام ، وتؤازر القرائن المقصود لذاته منها في أسلوب الكلام

وربما كان الصوت الرخيم شبيه ما نحن بصدده من هذين اللفظين ، فإن الدلالة المعنوية للصوت الرخيم على معنيي الحزن والفرح ، أكثر شيء وفاقاً لدلالة لفظي الروعة والطرب على ذينك المعنيين

متى ذكر جمـال الصوت ورقته ، انصرف الذهن أول ما ينصرف إلى الفرح ؛ فالغناء فيما يبـدو للناس على وجه عام ، بريد المسرة ، ووافد الابتهاج . مع أنه في حقيقة الأمر يستنبث الشجو ، كما يستثير الغبطة ؛ ويرتاح له الشعور الحزين ، كما يأنس به البال الرفيه . فهو منتجع الشجيين والخليين على سواء بينهما . وكم أنبط الغناء من عبرات حرار لم تكن تبض قطراتها لولا رشاء النغم الحنون !

تلك هي النائحة المستأجرة ، تبعث صوتها المتحزن في مناحات النساء ، فاذا به وقود تتضرم به مجامر الزفرات ، ورنين تستيقظ به كوامن الأحزان . فتمضي النساء وقد حضرتهن الهموم يبكين شجوهن !

وهذا ابن سريج ظل صدر شبابه ينوح . وقد أنسيت : أين ؟ أفي مكة أم في المدينة ؟ وحينما كان فقـد نوح دهراً وهو ورقاء

هتوف ، قبل أن يغنى فى بغداد وهو بلبل صَيْدَح ... هاج صوته خاف الجنائز لواعج الحزانى ، من المكين أو المدنيين بين رجال ونساء ، وأحيا ذلك الصوت نفسه ليالى البغداديين الملاح ، فكان عون اللهو ورُقْيةَ الصبوات !

ذلك لأن الغناء فى ذاته لا شأن له بما يكون في النفس من أفراح أو أتراح ، وإنما هو ذوب ينسرب إلى أذن السامع ، وسحر يمشى فى حسه ، فيهزّ مناحى الشعور ، ويضئ ظلام الجوانح ، فينكشف مستورها من الأفراح أو الأتراح ...

فعمل الغناء على هذا هو التنبيه والايقاظ ، سواء أكانت النوائم آلاماً أم لذائذ . وهكذا الشأن فى لفظىْ الروعة والطرب فهما يدلان على الهيجة والهزة والتحرك ، سواء أكان ذلك للذائذ أم للآلام

أما مفاد قول اللغويين فى لفظ الروع فهو : الفزع ، وقالوا : سُمى القلب رُوعاً بالضم ، لأنه موضع الفزع . فقولك : راعه الأمر ، أى بلغ الرّوْع رُوعه ، والأمر الرائع هو الذى يصل الفزع منه إلى القلب

وفى رأيى أن العرب سموا القلب روعاً وجرى بينهم استعماله ثم اشتقوا منه الفعل : راع ، ليفيد إصابة القلب كما يقال : فأده أصاب فؤاده ، ورأسه أصاب رأسه ، وعانه أصاب عينه . وهذا الباب من أبواب العربية ينفسح لكل الأعضاء ، فقد ألمع العلماء إلى اطراده ، تقول : فعَلَه ، أى : أصابه ، وفُعِل هو ، بالبناء للمجهول ، أى أصيب

وقد أخلى أصحاب المعجمات أسفارهم من الاشارة إلى هذا الوجه خلال أقوالهم في اشتقاق فعل : راع ، وعلقوا الصلة بينه وبين الروع بمعنى القلب على بلوغ الفزع ، وذلك التعليق هو الذى إياه نأبى ، وغيره نرى .

على أنهم فى تعليلهم لبعض الاستعمالات العربية فى هذا اللفظ ذكروا مايقوم مقام التنزُّل عما سبق أن علّقوه . جاء فى شرح القاموس نقلاعن حُذّاق اللغة : « ما راعنى إلا مجيئك ، معناه: ما شعرت إلا بمجيئك ، كأنه قال : ما أصاب رُوعى إلا ذلك » وهذا التفسير اللغوى يفيد ، على جلاء ، أن راعه الأمر : أصاب رُوعه ، أى قلبه ، دون ذكر لخوف أو فزع .

وهذا تعبير عربى وثيق ، تقول : « وقع ذلك فى رُوعى ، أى نفسى وخلدى وبالى » فالوقوع هنا خالص مجرد ، وهو يفيد الوصول إلى القلب ، غير محدود بوصف ، ولا ممسَّين فيه وجه .

ومن فُصح العربية كذلك قولك : « فلان يرتاع للخير » ووجه هذه العبارة أن ارتاع هنا مطاوع راع ، ففلان يروعه الخير ، أى يمس قلبه ، ويقع فى نفسه ، فهو يرتاع للخير ، أى يرتاح إليه ، ويطمئن به .

وعلى هذا ، تقول : راعنى الأمر ، أى وصل إلى خاطرى ، وتأثر به جنانى ، فان كان ذلك الأمر داعية بهجة فذاك ، وإن كان نذير مساءة فكذلك . فالزينة الرائعة هى الرائقة التى يبلغ إلى القلب الاعجاب بها ؛ والفجيعة الرائعة هى المفزعة التى تهزّ القلب نبأتها .

وأما لفظ الطرب فان الخطب فيه أيسر . وقد تضاربت فيه أقوال فقهاء اللغة ، ومن هذه الأقوال ما نوافقه فيما ذهبنا إليه .

هى آراء ثلاثة فى ذلك اللفظ :

أولها أن الطرب للفرح ، وللحزن . ومن شيمة ذلك الرأى « ابن الانبارىّ » فقد حشده فى كتاب « الأضداد » فيما حشد من مادة كتابه !

والثانى أنه حلول الفرح ، وذهاب الحزن . وقد ذكر هذا الرأى صاحب اللسان ، وكأنه عرف ضعفه فصان اسم صاحبه عن نسبته إليه

ثالث الآراء هو الذى نواطن اللغويين عليه ، وهو أن الطرب خفة تعترى عند شدة الفرح أو شدة الحزن . وقد ذكره من أعلام اللغة جمع بينهم «ابن دريد» فى الجمهرة و «الجوهرى» فى الصحاح

وممن ارتضى هذا الرأى من المتأخرين صاحب المصباح ، فانه أثبته فى موضعه من معجمه وزاد عليه قوله : « والعامة تخص الطرب بالسرور » . فهل فات الفيومى أن العامة تجرى فى هذا التخصيص على رأى أسلفنا ذكره هو الرأى الثانى ؟ أم يذهب إلى أن هذا الرأى ينزل من الآراء منزلة العامة وقالة السوق ؟!

ولعل أوفق ما قيل فى معنى لفظ الطرب قول ثعلب : « الطرب (عندى) هو الحركة » فهذا هو القول الصائب على ما ترى ؛ ولكن

غزل العقاد

للأستاذ سيد قطب

– ١٦ –

الآن يصل أخونا «الغمراوي» إلى النهاية البائسة التي وصل إليها إخوانه من قبل. فهم وهو، يظلون متماسكين – بعض الشيء – وهم يدورون بالكلام ويلفون حول الأشخاص بالجمل العائمة والتعبيرات التي ينبت رأسها في ذيلها – وبالعكس! – حتى إذا بلغوا الحديث عن النماذج، ولمسوا جانب الأحكام الأدبية، «آن لأبي حنيفة أن يمد رجله»!

من كان ينظر إلى «الجمال» وينظر إلى «الحب» نظرة «العقاد» التي أسلفنا عنها الحديث في مقالي «سارة» وفي مقالي «غزل العقاد» فهو خليق أن يسمعنا من «الغزل» – تعبيراً عن أثر الجمال والحب في نفسه – أنماطاً أخرى غير ما عهدناه في الشعر العربي قديمه وحديثه، وأن يكون في هذا الغزل صاحب «خصوصية» أولا، وصاحب «فلسفة» شاملة ثانياً

وليقل بعض الجهلاء الغلاظ ما يشاءون عن فلسفة الشاعر، ولينكروا أن يكون لكل شاعر كبير فلسفة خاصة، يفسر بها الحياة كما تنطبع في نفسه النموذجية، لا نتيجة (التأمل) وحده كما يفهمون، بل نتيجة الفطرة الممتازة كذلك، ونتيجة الطبع المتفرد، الذي تهبه الحياة لصاحبه، وهي ترتقب منه دنيا جديدة يخلقها، لا كدنيا الناس، تضمها إلى متحفها الضخم الفريد

والعقاد في غزله يجيبنا إلى ما نرتقب، ويرتفع فوقه درجات، ويحيل الدنيا – حين يحب – متحفاً حياً من الصور والحالات النفسية، ومن شخوص اللحظات والليالي والأيام التي تدب وتتنفس وتحيا! ومن الألوان والظلال التي تلقيها المواقف والآلام والأحلام والآمال؛ ومن الأصداء المنبعثة من أوتار نفس متعددة الأوتار

هي دنيا عجيبة يعيش فيها القارئ بضع ساعات، فيلتقي فيها بوجوه عدة، وأنماط من الشخوص نادرة، ويرى هناك نفساً – بل نفوساً – هادئة ثائرة، راضية ساخطة، بانية هادمة، محلقة في الرجاء، وجاثية في القنوط أو محيرة في الشك والارتياب، ويجدها روحانية ترفرف بأجنحة من السماء تارة، وبوهيمية تلتهم قطوف الواقع تارة، وكثيراً ما تجمع بين السماء والأرض في قدرة كقدرة الخالدين

ولكن الميزة الكبرى لهذه النفس أنها تبدو صادقة في كل حالة، طبيعية في كل وجه، أصيلة في كل سحنة. فليست هي في حالة المتعة والاقبال بأقل منها في حالة العزوف والادبار؛ وليست هي في ساحة الرجاء الطليق بأفضل منها في حرج القنوط المطبق، أو الشك الأليم...

وتلك قدرة – أو موهبة – لا تتاح لكل شاعر كبير، بل لعدد محدود من الشعراء الكبار؛ فقد يكون شاعراً كبيراً وهو يمتاز في ناحية واحدة من نواحي الاتجاهات النفسية الكثيرة ويرى الدنيا كلها في ضوء هذه الناحية الممتازة فيه

ونحن لا ننصف الرجل حين نقول: إن الأوتار التي يوقع عليها الحب في نفسه، لم تجتمع قط لشاعر عربي، ولا تجتمع لعشرة من شعراء العربية في جميع العهود

ابن سيدة قال في التعليق عليه: «ولا أعرف ذلك»... على أن فقد المعرفة ليس بإنكار ولا تخطئة، ولثعلب أن يكون له (عند) وما هو بظنين

وثم لفظان هما عسيّان أن يدخلا من هذا الباب، وتصدق عليهما هذه الصفة، ذانك لفظ الشجو، ولفظ الوله. فقد أصفق اللغويون – وبينهم الكسائي – على أن شجاه: حزنه وطرّبه ضد. وذكر بعض منهم في المعجمات أنه قيل: إن الوله يكون من الحزن والسرور. وأنا لم أجد حول هذا الذي قيل في الوله مايميز جانبه، ولم أجمع من صيغه ولا من صيغ لفظ الوله ما يسفر به وجه الاشتقاق، فأحتسب الآن بالاشارة إليهما، والتنبيه عليهما، غير مبرم لهما قولاً، ولا قاطع فيهما برأي

وقصارى البحث أن لفظي الروعة والطرب لا يدلان إلا على تأثر النفس بما يُحرِّك ما فيها من المباهج أو الكروب، فالغناء يَرُوع ويُطرب، والمغنّي رائع مطرب؛ لأن روعة الغناء وطربه يستخفان المشاعر؛ فتتبرج الفرحة الخفيرة أو يهتاج الأسى الكظيم؟

محمد شوقي أمين

نحن لا ننصفه حين نتحدث عن اللغة العربيـة وحدها ؛ ولكنا نقول ذلك مؤقتاً ، لأنها اللغة التي نستطيع الحكم على آدابها حكماً نملك أدلته كلها ونجزم فيه بالصواب . وإلا فبين يدي معربات كثيرة لشعراء من الغرب مشهورين معروفين « كبيرون وشيلي والفريد دي موسيه وفيكتور هوجو » لا أرى فيها من تمدد الجوانب الصادقة الأصيلة ما أراه في غزل العقاد وشعره عامة

وما أقول هذا وأقصد به إصدار حكم لا أملك كل مستنداته ولكنه توجيه لدارسي هذه الآداب ، ودراسة تنفع للحكم بين شاعر مصري كبير ينالنا شرف سبقه وتفوقه في هذه الميادين ، وبين شعراء العالم المشهورين المقروءين .

***

أول ما يطالعك في غزل العقاد – وفي شعره عامة – اليقظة والوعي الفني ، والانتباه لما يجول في نفسه من الخواطر والأحاسيس ، وما ينبض به قلب من يحب من المشاعر والأشواق وما يحيط بها من أجواء وآفاق .

وينشأ عن اليقظة الاتجاه الفلسفي ، لتعميق الاحساس بالحب ، كما ذكر على لسان « همام » في « سارة » وأسلفنا عنه الحديث . كما ينشأ هذا الاتجاه عن رأيه في الحب والجمال ، وعلاقتهما بأغراض الحياة الكبري ، ووشائجها بالكون في آماله الفسيحة .

ولا مفر لمن ينظر هذه النظرة أن يجاوز التعبير عن خاصة نفسه في الغزل ، إلى صلة حبه بالحياة والكون ، وأن تتسرب إلى هذا تجاربه وتأملاته في الحياة ما دامت النفس الانسانية وحـدة لا تقوم الحواجز بين أجزائها ومكنوناتها . فتتألف من ذلك كله فلسفة ، يحسبها السطحيون بعيدة عن الحب والغزل لأنه لم يكتب عليها لافتة (يافطة) تقول : « هنا عاطفة ! » ، ولأن الحب عندهم هو ذلك الظمأ والطوى ، الذي لا يبعد كثيرا عن الحس الساذج القريب ، ولأنهم ذوو نفوس ضيقة ناضبة لما وتر ضئيل .

وليس في غزل العقاد ولا في شعره كله هالات وظلال ، (مما قد يكون جميلا في شعر آخرين ليست لهم هـذه الطبيعة) وليس هو ميالا للرمزية — وبخاصة كما يصورها بعض أتباع هذا المذهب في هذه الأيام — واليقظة والوعي الدقيق ، والانتباه الصارم ، لا يناسب هذه الرمزية ولا يستريح إلى الايغال فيها إلا بمقدار . ومثل العقاد في هـذا كمثل الجهاز السليم الدقيق ، يرصد الكواكب والسدم ، فيدركها واضحة محدودة عما حولها ، فملام تكلفه أن يظهرلك في الصورة ظلالا وأشباحا ، وهو يرى أضواء وشخوصا ؟ ألأن جهازا آخر مختلا أو ضعيفا ، أو على عدسته غشاوة يسجل تلك الظلال والأشباح ؟

نعم قد يُظهر لك في بعض الأحيان غشاوات وسحبا ، لأن هناك سدما غير واضحة في ذاتها — لا في عدسته — وهنا تكون الرمزية الصادقة التي تكنى لأنها لا تملك التصريح ، وتسجل الغشاوة لأنه لا سبيل إلى الوضوح

على أن هناك سبباً آخر لسلوك العقاد هـذا المسلك في الاحساس بالحياة والتعبير عنها في وضوح دقيق ، ذلك هو فلسفته العامة عن الحياة

فالعقاد ليس من الشعراء الذين لا يجدون في هذه الحياة المنظورة جمالا فيعمد إلى التوشية والتظليل ليداري العيوب ويخلق المحاسن المتخيلة الغامضة؛ أو يتركون هذه الحياة كلها، ويرسمون من الخيال حياة أخرى يغشيها الضباب والدخان ، وتزينها التهاويل والأطياف !

إن هذه الحياة المنظورة جميلة عنـد العقاد تستحق الحب والالتفات ، وهي كذلك رفيعة تستحق التقديس والاحترام :

يا طالباً فوق الحيـاة مدى له يعلو عليها . هل بلغت مداها !
ما في خيالك صورة تشتاقها إلا وحولك لو نظرت تراها

ومن المستحسن أن نوضح ماذا يعني العقاد بالحياة المنظورة ، فهو يعني بها الحياة في كنهها وذاتها ، في ماهيتها كقوة خالدة ، ويراها وحدة من مبدئها إلي منتهاها ويضم إليها آلامها في جهادها وأشواقها إلى غايتها ، وخطواتها إلى الدوام والكمال

هذه هي الحياة التي يهيم بها العقاد — كما هي — ويراها وافية بتحقيق مطالب الخيال والأشواق ؛ وليست هي حياة الساعة واليوم ، أو حياة الفرد والجيل المحدود

وهذه الحياة — عنده — «روح نلمسها بيد من المادة»، ولا انفصام — بل لا اختلاف — بين القوة والمادة فيها ، وقد برهن العلم في محاولاته الأخيرة على صدق هذه النظرة بالفطرة السليمة، فما الذرات التي تتألف منها المواد إلا كهارب موجبة وسالبة ينشأ من تعادلها وجود المادة في الحس، وليس ما يعرف في الطبيعة «بالمقاومة» إلا قوة تعارض قوة ، أيتهما زادت طاقتها تغلبت وظهرت

ومن هنا ينشأ احترام العقاد للجسم فى عالم الجمال ، أو ما اصطلحنا على أن نسميه « جسما » وهو طاقة من قوى الحياة تتمثل فيها للحس ، وتلمس باليد . ولهذا فحين يبلغ الحس غايته يجعل من المحسوسات أرواحاً ، ويحيل المتع كلها روحية علوية :

ما نعيم يمنح الكـف غذاء المهجات ؟
تقصر الألباب عنه … وهو بعض اللمسات
فى يدى أدعوه خصراً … تارة أو زهرات !
فى فمى أدعوه ثغراً … تارة أو قبلات !

والسماء والأرض — على هذا — متقاربتان فى الحياة . أنظر إلى الحياة فى قيودها وضروراتها فأنت منها فى أرض جاثية. وانظر إليها فى آمالها وأشواقها ، فأنت منها فى سماء طليقة . وهى هى الحياة فى أرضها وسمائها وحدة لا تتجزأ ، مقبولة الأعذار ، مغفورة الزلات ، محبوبة المباهج ، مرموقة المناظر ، لأنها الحياة !

ومن شأن هذه الفلسفة ألا تلجأ إلى الألغاز والمعميات ، ولا إلى الأشباح والخيالات ، ولا إلى الظلال والغشاوات ، إلا حيث يكون هذا كله جزءا من كنه الحياة وقبساً من طبيعتها . وذلك لأنها تواجه الحياة بخيرها وشرها ، وتعترف بهذا الخير والشر كمزاج أصيل لها ، وتدرك ما فيها من جمال حقيقى موجود ، لا غاية بعده لوهم ولا لخيال

***

وقد استطردنا فى بيان فلسفة العقاد العامة ، فسقنا فيها بعض خصائصه فى غزله وهى « التوحيد بين متعة الحس ومتعة النفس أو بين الأرض والسماء » . ثم دعانا هذا الاستطراد إلى تأجيل الأمثلة التى نأخذ منها دلائل اليقظة والوحى الفنى . والآن فلنأخذ فى إيراد الأمثال :

يقول فى قصيدة بعنوان « تبسم » :

تبسم فإن القلب يسعد بالذى … سعدت به واضحك وغرد وخاطر
يلذ لنا منك اغترارك بالصبا … غرور الصبا روح لقلب الحاذر
ويعجبنا أنا نرى فيك معجبا … مدلا على الأيام إدلال ظافر
بشوشاً تكاد العين تلمح قلبه … وتسرد فى نجواه نظم السرائر
إذا غامت الجلى تبلجت بينها … تبلج ومض البرق بين المواطر
وتضحك والأتراح حولك جمة … تخافك خوف الجن رجم الزواهر
وتبكى وأفراح الحياة كثيرة … يحاذرننا من حولنا كالطوائر
فياقرب ما بينى وبينك فى الهوى … ويابعد شتى دارنا فى الخواطر
طوى الحب ما بينى وبينك من مدى … فنحن قرينا موطن متجاور
أيامن رأى ليلاً وصبحاً تلاقيا … وإلفين من صفو وشجو مخامر
لئن تخش منى الليل صعباً مراسه … لقد بت أخشى منك شمس الهجائر
فيالى من ليل بحبك موثق … وثاق الضوارى فى كناس الجآذر
تطالع منه الهول سهلا مقاده … رخاء غواشيه ، شجى الزماجر
ويارب مرهوب السطا وهو مطلق … إذا كف أضحى متعة للنواظر
أنا الليل فاطرقنى على غير خشية … ولج باب أحلامى وجل فى حظائرى
وسر حيث يخشى غيهب الليل نفسه … وتعثر بالظلماء ظلماء كافر (1)
لتعلم ما الدنيا إذا غال غولها … وأنت أمين من طروق الدوائر
وتعلم أن الشمس تكذب قومها … إذا حدثتهم عن خفى وظاهر
فكم بين لألاء الضحى من مناظر … طوتها يد الأحداث عن كل ناظر

فها هنا رجل يحب ويعبر فى غزله عن هذا الحب ، ولكن اليقظة التى ابتعثها الحب فى نفسه وفكره جميعاً تجعله يتنبه إلى خصائص نفسه وخصائص من يحبه ، ويلمح الفروق الواضحة بينهما التى يؤلف منها الحب وحدة ونظاماً ؛ ثم تدخل فى المضمار فلسفته العامة ونظرته إلى الحياة قيودها وطلاقتها ، ضروراتها وأشواقها ، فيتألف من ذلك كله غزل ناضج فريد على غير مثال

ومن حق الأدب علينا أن نشرح هذا كله فى تلك الأبيات

يعجب العقاد فى حبيبه بالجمال ، ولكنه لا يقف عند هذا الذى يدركه كل شاعر — وإن أدركه هو على نحو خاص — فانما يعجب فيه أكثر باغترار الصبا ، والإدلال على الأيام إدلال ظافر ، والبشاشة التى لا تفرض وجوداً لعبوسة الحياة

وإلى هنا يمكن أن يصل شاعر ممتاز . ولكن ما يعجب العقاد فى هذا هو معنى أبعد وأرق . إنما يعجبه من هذه الغرارة

(1) اسم من أسماء الليل

والبشاشة، غلبة الحرية على الضرورة في هذا الجيل، وغلبة الفرح الطليق على الانقباض الحبيس، وغلبة البشاشة الراجية على العبوسة اليائسة

ثم يلقي نظرة أخرى على هذين القلبين اللذين جمع بينهما الحب، فاذا أحدهما يضحك والأتراح حوله جمة، وثانيهما يبكي وأفراح الحياة حوله كثيرة، وهي مفارقة من مفارقات القدرة الخالقة في الحب، التي تهزأ بالظواهر والأشكال وتمزج بين العناصر أبعد ما تكون طبيعة وكنهاً. ويلتفت من هذا إلى أثر هذا المزج العجيب، فاذا قلبه المرهوب بما فيه من آلام وجماح، وقد غدا مروضاً مذللاً بهذا القلب الآخر الشرق البشوش، فصار مأموناً لا يرهب، كما تشاهد الضواري موثقة فتكون مسلاة، وكانت وهي طليقة تبعث الرعب والفزع

ثم ينتهي من هذا إلى أحسن تعبير عن اطمئنان صاحبه إليه، والتذاذه بكشف مجاهل نفسه وغياهبها، في ظل الحب وحراسته وأمنه فيدعوه أن يجول في هذا القلب الوعر المرهوب ليستمتع بمشاهدة الخطر المأمون، ويعلم أن الشمس لا تكشف إلا الدنيا الظاهرة، وأن ليس غير الحب يكشف أعماق القلوب

مثل هذا لن يفهمه من يفهمون الغزل لهفة ودموعاً، أو فرحة واستمتاعاً؛ ولن يفهمه بطبيعة الحال من يريدون عواطف الحب قالباً مصبوباً من غزل العذريين أو البوهيميين في الشعر العربي المحدود. ولكنه أحق قول باسم «الغزل» وأدخل قول في العاطفة اليقظة المشبوبة، المنيرة بالحب حتى تكشف ما حولها، وتضمه بجناحيها

ويقول في قصيدة بعنوان: «المغنم المجهول»:

يا من عليه تلهفي وتلددي	قد جرت فلتهنأ بأنك جائر
وأريتني مالا ترى، ووهبتني	مالست تملكه. فما لك شاكر
محضتني سر الحياة وسرها	خاف عليك: جليله والضامر
إن الضياء يُرى العيونَ ولا يَرى	والحسن يوقظ وهو غاف سادر
فلئن بخلت بما ملكت فحسبنا	مالست تملك. فهو عندك وافر!
أنسيتني نفسا وقد أذكرتني	نفسا. وخيرها التي أنا ذاكر
لكشفت باطنها فقد أنكرتها	لما بدا منها القرار الثائر
فامنح وصالك أو قلاك فإنني	راض بكلتا الحالتين وصابر

وهنا أيضا شاعر يتغزل، ويقول في أول هذه القصيدة ماينتظر من شاعر مثله في الحب والجمال، ووصف هجر حبيبه وما يمسه في نفسه من إحساس، ثم يتيقظ إلى ما أثاره هذا الحب في نفسه ـ مع الحرمان ـ وأنه وهبه ما كان مخبوءاً عنه في أطواء نفسه، لا يعلم حتى هو بوجوده، وأن هذه هبة لا يملكها الحبيب الهاجر، لذاته ولا لصاحبه، وأنها مغنم جليل يعوض عن المتاع والوجدان.

وندع العقاد نفسه يعبر عن هذه المعاني أدق تعبير حين يقول:

«إذا اعتلجت بالنفس عاطفة قوية أثارت رواكدها، واستفزت رواقدها، فانكشف للانسان من نفسه مالم يكن يعرف، واختبر من قواه وطباعه ما كان خافيا عنه، فصحح نظره في الحياة، وتغيرت بين يديه حقائق الأشياء فرآها كما ينبغي له أن يراها، لأن معرفة النفس مقياس معرفة الوجود، ومن أخطأ تقدير نفسه لم يصب في تقدير ما حوله، لأنه يقيس الأشياء بمقياس مختل مجهول

«والحب أقوى العواطف وأعمقها تفتيشاً في النفس. فهو ينبه فيها الاعجاب والعبادة والبغض والألم والغيرة والاحتقار والشفقة والقسوة، وكل ما تشتمل عليه من حميد الخصال وذميمها؛ فاذا وقف الانسان على حقيقة نفسه، وقف على كل حقيقة يتاح له الوقوف عليها. وكان الجمال له معلماً يستفيد منه مالم يعلمه الجمال نفسه، ومنعماً يهبه ما لا يملك! كالشموس والأقمار التي تضيء للعين المنظورات، وهي بلا عين تبصر أو نفس تشعر. فاذا خسر الانسان في الحب غرضاً أراده، ربح منه غرضاً لم يرده، وكان ما جاءه من الربح عفواً أكبر مما توخاه عمداً»

وهذا القول نفسه دليل من أدلة اليقظة التي يبعثها الحب في نفس العقاد اليقظة «المركبة» التي تتيقظ وتعرف أنها تتيقظ في الوقت ذاته. وهذا نادر في النفوس

***

وبين يدي ثلاثون مثالا على ما ذكرت على هذه الخاصة في غزل العقاد، بل لدي غزل العقاد كله يصدق هذا الكلام، ولكن حسبي المثالان السالفان، وإلى مقال آخر نستعرض الخصائص الأخرى هذا الاستعراض (١)

سيد قطب

«الاسكندرية»

(١) وقعت في الكلمة الفائتة أغلاط ملحوظة، وقد وقع مثلها في الكلمات السابقة، ونحن لا نرى فائدة تذكر من التصحيحات اللاحقة. وما دعانا لهذا التنبيه إلا تعنت بعض المنصفين الأخلاقيين الذين ينقلون الخطأ كما يقع ويستغلونه! فنعرض عن هذا التصرف الصغير.

فتاوى شرعية

معضـــــلات العصر

للأستاذ الجليل محمد بن الحسن الحجوى

وزير معارف الحكومة المغربية

تتمـــــة

نص الجواب عن الأسئلة الأنفودرية

جواب السؤال الثانى :

إن الذى يأخذ مرتباً كبيراً من دولة أجنبية سواء الذى فى بلاده أو فى بلاد مجاورة إن كان يتقاضى ذلك فى مقابلة عمل يضر بأحد كالجوسسة أو الوسوسة أو خدمة مؤامرة أو إيقاد فتنة أو أى ضرر آخر بفرد أو بالأمة ، فالمرتب حرام وسحت ، والفعل المذكور مذموم وخيانة عظمى ، والجاسوس ملعون ومعلوم حكمه من كتب الفقهاء فلا نطيل عليكم به . ومن أحكامه إباحة دمه حسب نظر الامام وكما تقتضيه المصلحة ، ما لم يؤد ذلك إلى فتنة أعظم فللامام النظر فيه . وبالجملة إن السؤال عن المرتب وهو سحت وحرام فان لم يكن فى مقابلة ذلك بل كان لأمر اقتصادى أو مرتباً عمريًا فى خدمة مشروعة أو نحو ذلك مما لا ضرر فيه على أحد فلا شئ فيه

جواب السؤال الثالث :

... فى الطرق الصوفية التيجانية أو غيرها ...

إن هذا السؤال كان سألنى عنه شيخ الاسلام المقدس المبرور سيدى أحمد بيرم التونسى بذاته وكنت أجبته مشافهة بحضر جمع من علماء تونس والجزائر ومنهم العلامة صفيناسيدى الحاج احمد سكيرج ، أحد عظماء الطريقة التيجانية الأعلام

وهأنذا أكتب لكم ملخص الجواب الذى أجبته به بحضرهم بمعناه : إن الطرق الصوفية تجانية أو غيرها ، إنما حدثت فى الاسلام لجمع قلوب المسلمين على إقامة الشريعة الغراء إقامة كاملة كافلة تطهير النفوس من الأخلاق الذميمة ، وتحليتها بحلية مكارم الأخلاق ضمن دائرة العمل بالكتاب والسنة والمحافظة على أنفاس العمر ألا تضيع فى سفساف الأعمال ، مع التراحم والتواد بين عموم المسلمين كما أشرت لهذا فى كتابى « الفكر السامى فى تاريخ الفقه الاسلامى » فى الربع الثالث منه عند الكلام على تاريخ علم التصوف ، وقد بسطته أتم بسط فى كتابى « برهان الحق فى الفرق بين الخالق والخلق » حيث تكلمت على كثير من الطرق ومنها الوهابية

فكل طريقة وجدناها تخدم الاسلام بإخلاص سائرة على هذا المبدأ سيراً مستقيما فأنعم بها وأكرم ؛ وكل طريقة حادت عن هذا المبدأ نبذناها نبذ المستقذرات وتبرأنا من عملها تبرؤ إبراهيم من أبيه . إن سيدى الوالد المقدس كان من أتباع الشيخ التجانى — رحم الله الجميع — وكان يؤكد لى أن الشيخ كان يقول لأصحابه : زنوا كلامى بميزان الكتاب والسنة ، فما وافقهما فخذوه ، وما خالف فانبذوه . فنحن نعمل بوصية الشيخ ونزن ما ينسبه إليه بعض الجهلة من أصحابه الذين لا يفرقون بين النبي والولى ولا بين الخالق والمخلوق — بميزان الشريعة ، ثم نفعل ما أمرنا به قدس الله روحه

وعلى هذا فالقولة التى شاعت وذكرها بعض المؤلفين منهم ونسبها للشيخ وذكر أنه وجدها بخطه وهى : أن صلاة[1] الفاتح لما أغلق تعدل ستين سلكة من القرآن أو ثمانين . ثم جاء بعض المؤلفين منهم فزاد صفراً وقال ستمائة ، ثم جاء محشيه وزاد صفراً ثانياً وقال ستة آلاف سلكة

نقول إنا عرضناها على الكتاب والسنة فلم نجد إلا ما يردها وينبذها لأنها تقتضى كناية وهى أبلغ من التصريح أنها أفضل من الصلاة الابراهيمية التى صحت بها الأحاديث بل ومن القرآن أيضاً وأن كلام المخلوق أفضل من كلام الخالق (ولذكر الله أكبر)

دعنى من فرية أنها من الكلام القديم فمثل هـذا لا ينطلى حتى على المغفلين ولا يلتفت إليه المؤمنون بالله الذين يعلمون أن

(١) إن صلاة الفاتح ليست من إنشاء الشيخ التجانى ولا نزلت عليه من السماء ولا لقنها له النبى صلى الله عليه وسلم يقظة كما يفترون ، بل هي للشيخ البكرى كما يقوله علماؤهم الأثبات . ولم يدع البكرى ولا أصحابه نزولها عليه ولا أنها من كلام الله القديم ولو أنه ادعاه لكفروه لأن النبوة والوحى قد ختما بمحمد صلى الله عليه وسلم

الوحى انقطع بموت النبي صلى الله عليه وسلم ، وأن إلمامات المتصوفة والمرائى المنامية لا قيمة لها فى الحجية عند كافة أهل العلم والدين المعتد بهم؛ والثواب على الأعمال ومقداره عند الله لا يدرك إلا بطريق الوحى الحقيقى ولسان النبوة الناطق ؛ خلافاً للمعتزلة القائلين بالتحسين والتقبيح العقليين؛ وأن العقل يستقل بمثل هذا

ومن المكر الخفي والكيد للاسلام المنطوى تحت هذه المقالة تزهيد الناس فى القرآن العظيم وفى تلاوته ثم الاعراض عنه إلى ما هو أخف عملاً وفي الميزان أثقل فى زعمهم الباطل

وإنى لأعجب لمسلم استنار قلبه بنور القرآن يقبل هذه المقالة الشنعاء فى الاسلام فلا حول ولا قوة إلا بالله

لذلك إذا أحسنا الظن بالشيخ — كما هو شأن المسلمين مع سلفهم الصالح — واعتقدنا فيه الكمال ، فلنكذب نسبتها للشيخ ونستريح ، فإن الاشتغال بتأويل كلام غير المعصوم من العبث وتضييع الوقت . ثم لأن سند نسبة المقالة للشيخ واه من أصله لضعف سند الوجادة إن صدقنا من قال إن الخط خط الشيخ . وقد جرب المحدثون التغفل على كثير من العباد والمتصوفة، لذلك ضعفوا رواية كثير منهم كما هو مقرر فى فن المصطلح . كما أننا جربنا الكذب والبهتان والتغفل والبله على كثير من الأتباع لما يحملهم عليه التعصب الطرق والتحزب المذهبى وحب انتشار الطريق ، لأن ذلك من أساليب الارتزاق ، واستغلال استبلاه المغفلين الجاهلين ، يحببون إليهم الطريق بتكثير ثواب الأعمال وطرح المشاق وسهولة الوصول وتخفيف المسؤوليات أمام الله . فيقولون للمريد : من عمل فى طريقنا قليلاً كان له أكثر من الأجر الذى يكون لغيرنا بأضعاف. فاذا كان لمطلق المسلم ليلة قدر واحدة فى السنة فالتجانى كل لياليه ليلة القدر . وإذا كان لغيرنا على الحسنة عشر حسنات فلنا آلاف الحسنات ؛ وإذا كان غيرنا عليه حساب ومسؤولية أمام الله ثم عقاب ، فنحن ندخل الجنة بغير حساب . نحن لنا سيدى أحمد التجانى ضامن وهم لا ضامن لهم ؛ وكل تجانى يحضر سيدي أحمد لقبض روحه. إلى غير هذا مما هو معلوم لدى كل من خالطهم ، فيصورون له الطريق التجانية بأجل صورة يتصورها الوهم . فكأنها ورقة حماية من دولة لها سلطة عالية ، تعلى من يجير ولا يجار عليه ، فكأنهم نسوا القرآن

فبهذا صارت الطريقة التجانية فى نظر أهل العلم بالسنة والكتاب كأنها مسجد الضرار ضد الاسلام

فالله يقول فى نبيه خاتم النبيين ، وهم يقولون فى الشيخ التجانى هو الختم ، وهو لبنة التمام للأولياء ، فحجروا على الله ملكه وقطعوا المدد المحمدى وهم لا يبالون أو لا يشعرون، وحتى إن شعروا فالمقصد يبرر الواسطة؛ وإذا سمعوا أن النبى أفضل النبيين قالوا إن التجانى رجله على رقبة كل ولى لله بهذه العبارة الجافة من كل أدب والجارحة لعواطف كل مسلم ، لأن الولى فى عرفهم يشمل النبى، إذ يقولون إن ولاية النبى أفضل من نبوته، ولا يبالون أن يكون أصحابهم أفضل من أبى بكر وعمر والعشرة المبشرين بالجنة الذين كانوا يخافون الحساب ولا يأمنون العقاب ؛ ولم يكن عندهم بشارة النجاة منهما . إذ لا يأمن مكر الله إلا القوم الخاسرون

حكى لى بعض القضاة قال : كان فى محكمتى تسعون عدلاً فى البادية . وقد تقصيت أخبار الصالح والطالح منهم لأعلم مقدار ثقتى بهم فى حقوق المسلمين فوجدت عشرين منهم متساهلين لا يؤتمنون على الحقوق؛ وحين دققت النظر فى السبب تبين لى أنهم جميعاً تجانيون ، فبقيت متحيراً حتى انكشف لى أن السبب هو اتكالهم على أنه لا حساب ولا عقاب يترصدهم فانتزع الخوف من صدورهم . كل هذا سببه الفساد الذى أدخله جهال الطريق عليها فأفسدوها وانعكس المقصود من الطرق التى كان يقصد منها ردع الخلق عن المعاصى والتوبة منها وزيادة خوف الله فصارت إلى أمن مكر الله، وإزالة مخاوف الآخرة من عقولهم فلا يبقى فى قلوبهم ذرة من خوف الله وإنما تمتلئ بتعظيم شيخهم حتى تتراءى لهم عظمته فوق عظمة الله ورسوله

ومعتقدى فى الطريق التجانية الحقيقية نزاهتها عن هذه الهذيانات وهذه الاباحة المقنعة إذ كان فيها فحول الدين وأساطين العلم ، مثل أشياخنا : مولاى عبد الملك العلوى الضرير سيدى محرب التهامى الوزانى، سيدى الوالد المقدس، سيدى الحاج محمد بن محرب عبد السلام كنون ، سيدى أحمد بن أحمد بنانى ... ومن قبلهم كسيدى ابراهيم الرياحى التونسى ومن قبله ، ومن بعدهم ممن هم موجودون الآن وفر الله جمعهم ووفقهم للقيام بأحكام الطريق . وقد ذكرت فى الفهرست وفى الفكر السامى تراجم

جملة منهم . وكانوا سرج هدى فى علوم القرآن والسنة والوقوف عند أوامرها ؛ وحاشاهم أن يتمذهبوا بطريق تؤسس على ما يوهم خلاف عظمة الاسلام والشرع الاسلامى أو يرضوا بذلك وهم من هم علماً وديناً وورعاً وذباً عن الاسلام وغيرة عليه . ومنهم من كان يذكر هذه الزوائد علناً ، ومنهم من انفصل عن الطريق لأجلها كسيدى الفاطمى وغيره رحمة الله عليه

أما كتاب «جواهر المعانى» الذى ألفه أحد العوام من أصحاب الشيخ التجانى ، فأخذ أكثره حتى الخطبة بلفظها من كتاب « المقصد الأحمدى » الذى ألفه قبل الشيخ التجانى سيدى محمد ابن الطيب القادرى فى مناقب سيدى أحمد بن عبد الله معن الأندلسى . والمقصد الأحمدي قد طبع فبان عوار جواهر المعانى حتى الشمر الذى قيل فى سيدى أحمد بن عبد الله أخذه بنفسه وجعله فى الشيخ التجانى ونقل الفصول بلفظها، بل كل ما وصف به سيدى أحمد بن عبد الله جعله وصفاً لشيخه ظاناً أن اتحاد الاسم اتحاد للوصف . وذلك ما يدلك على براءة الشيخ التجانى من كل ما تضمنه الكتاب المذكور

ومن أغلاط أدباء هذه الطائفة وغلوهم المفرط أنهم جعلوا قانوناً لطريقتهم ضمنوه مختصراً على لهجة مختصر الشيخ خليل المالكى نسقاً وأسلوباً ، وبينوا فيه الأحكام الخمسة من وجوب وحرمة وندب وكراهة وجواز كأنهم لم يسمعوا قوله تعالى (إن الحكم إلا لله)

ومن عجيب أمرهم أنهم جعلوا حكم الردة عن طريقهم أقسى وأهول من حكم الردة عن الاسلام

فإن من ارتد عن الاسلام تقبل توبته ولو تكررت : (إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا) الآية . أما من ارتد عن الطريق التجانى فلا تقبل توبته وليس له إلا الخلود فى النار والموت على سوء الخاتمة ، ويبقى عندهم ملحوظاً بتلك السمة ، ولا مطمع فى قبول توبته، ولو أناب ورجع لطريقهم . ويظن بعض أنه لو كانت لهم سلطة متمكنة لقتلوه وما استتابوه

فعملهم هذا يتخيل منه أن لهم برنامجاً خاصا يستدرج طريقهم لتصير ديانة مستقلة عن الإسلام ... حكى لى أن محمد الأمين الشنقيطى لما ألف المختصر المذكور ظانا أنه عمل عملاً عظيماً حميداً — جاء به إلى الأستاذ العارف سيدى العربى الوساوى ساكن زرهو ، وهو من علماء هذه الطائفة الكبار ومقدميها الأخيار ؛ فلما اطلع عليه وبخه توبيخاً عنيفاً قائلاً : أتجعلون طريقنا مسجد الضرار للاسلام ؟ السنة تجمعنا والبدعة تفرق بيني وبينكم ، أو ما هذا معناه . ولم يقدروا على إظهار هذا المختصر إلا بعد وفاة هذا السيد الجليل رحمه الله . وبعد موته وجد فى تركته فسرقه من سرقه ونسبه لنفسه وطبع ونشر فكان موت الأكابر زلة الأصاغر

لقد وقع مثل هذا فى الديانات تسلط عليها الجهلة فأفسدوها ظانين الاصلاح فكيف بالطرق ؟

وهذه صورة مصغرة ترينا كيف وقع فى الديانات حتى اختل نظامها وطمست أعلامها وهرمت بالقلب والابدال الذى أشار له القرآن ...

وإذا لم يتدارك هذه الطريقة علماؤها بحذف ما زيد فيها ، وإبطال كل ما خالف القرآن والسنة ونبذ كل تأويل وتضليل فإنها تؤول للاضمحلال ، إذ الاسلام أفاق من سكرته ، ولم تعد أفكار أهله تقبل أدنى شيء يمس بجوهر أصول الكتاب والسنة أو يخالف العقل الصحيح

وتمسكوا أى تمسك بقاعدة أن الدين الصحيح لا أمت ولا عوج ؛ وهو ما بين دفتى المصحف والبخارى ومسلم وصحيح السنة من رواية العدول الثقات دون المغفلين الجاهلين ، ورموا خلفهم كل ما خالف ذلك غير ملتفتين لتأويل المؤولين وتضليل المرتزقة المضللين

وإنى على يقين أنه بانتشار التعليم الصحيح المؤسس على الأصول السابقة ، تنكمش تعاليم المخرفين وتظهر رداءة نفوذهم المزورة ، فتنكشف صبغة نفوذهم المدبرة باشراق شعاع شمس الكتاب والسنة والعقل الصحيح ؛ فاجتهدوا فى تعليم أولادكم الدين القويم قبل أن يسبق إلى قلوبهم أى تعليم آخر سواه ؛ فهو يناضل عن حوزته لأن برهانه فى نفسه : (وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) . (إن الله متم نوره ولو كره الكافرون) وعليكم سلام الله ورحمته من منبطه وجامعه معتذراً بقصوره وكثرة شواغله

« الرباط » محمد بن الحسن الحجوى الثعالبي الجعفرى

تيسير قواعد الاعراب

لأستاذ فاضل

— ٤ —

وذلك التكلف فى نيابة المجرور عن الفاعل فى نحو — مُرَّ بزيد — هو ما ذهب إليه جمهور النحاة . وهناك تكلفات أخرى فيه ، منها أن النائب ضمير مبهم مستتر فى الفعل ، وبه أخذ ابن هشام وغيره

ومنها أن النائب ضمير عائد على المصدر المفهوم من الفعل ، وبه أخذ ابن درستويه والسهيلي والرُّندِيُّ

ومنها أن النائب حرف الجر وحده فى محل رفع ، وبه أخذ الفراء . وقد قال أيضاً بأن الحرف فى محل نصب بعد الفعل المبنى للفاعل فى نحو — مررت بزيد — وهو عندهم مذهب فى غاية الغرابة ، لأن الحرف لاحظ له فى الاعراب أصلاً ، ولكنه عندنا مذهب يؤيد ما ذكرناه من أن مسألة الاعراب والبناء مسألة تقديرية ، ويجعل ما ذهبنا إليـه من الاعراب الظاهر فى الحرف مذهباً قريباً سائغاً ، لأنه أقرب من ذلك الاعراب المحلى الذى يتكلفه الفراء فيه

فالمذاهب فى ذلك أربعـة كلها متكلفة . ومذهبنا أن الجار والمجرور متعلق بالفعل ، وتعلقه به فى ذلك كتعلقه به فى نحو — مررت بزيد — وإذا بطلت النيابة عن الفاعل فى ذلك بطلت فى غيره ، ولا شيء في أن يكون لنا مفعول به منصوب ومفعول به مرفوع ، ولا فى أن يكون لنا مبتدأ مرفوع ومبتدأ منصوب ، ولا فى أن يكون لنا خبر مبتدإ مرفوع وخبر مبتدإ منصوب ، فإن هذا كله لا يبلغ الأمر فيه أكثر من أن يكون مثل الفعل المضارع فى رفعـه ونصبه وجزمه ، فهو فعل مضارع فى جميع حالاته ، مع أنه قد تأثر فى لفظه ومعناه بدخول عوامله عليـه كما تأثر المبتدأ والخبر بدخول عواملهما ، فليكونا مثل المضارع فى ذلك ، وكذلك غيرهما مما ذكرنا

متعلق الظرف وحروف الجر

قسم النحاة هـذا التعلق إلى قسمين : متعلق عام كمتعلق — زيد عندك أو فى الدار — ويقدرونه — كائن أو استقر — وهو عندهم واجب الحذف ، ويعربونه هنا خبرا

الثانى متعلق خاص كما فى نحو أنا واثق بك ، وهو الخبر أيضا

وترى الجماعة أن المتعلق العـام لا يقدر ، وأن المحمول فى مثل — زيد عندك أو فى الدار — هو الظرف والجار والمجرور لا المتعلق . ونحن نرى أن الخطب فى هذا سهل ، وقد ذهب إلى مثل ذلك الرأى بعض النحاة ، فهو رأي قديم معروف ، وليس برأى جديد لهذه الجماعة

الضمير

ترى الجماعة إلغاء الضمير المستتر جواز أو وجوبا . فمثل — زيد قام — الفعل هو المحمول ولا ضمير فيه ، فليس بجملة كما يعده النحاة ، وهو مثل — قام زيد — ومثل — الرجال قاموا — الفعل محمول اتصلت به علامة العدد ولا يعتبر جملة ، ومثل — أقوم ونقوم — الفعل محمول والهمزة أو النون إشارة إلى الموضوع أغنت عنه

والجماعة هنا تناقض نفسها ، فبينما ترى الاستغناء عن الضمير المستتر جوازاً أو وجوبا ترجع إلى تقديره فى مثل — أقوم ونقوم — وتجعل فى الهمزة والنون دليلا عليه ، ولا بد لها أيضا من تقديره فى مثل — قم — بدون أن يكون هناك ما يدل عليـه من همزة أو نون ، وإذا رجعنا إلي التقدير فى الضمير المستتر وجوبا فلنرجع إلى التقدير فى المستتر جوازا من باب أولى ، لأن جواز ظهوره فيه دليل على وجوده عنـد عدم ظهوره ، بخلاف الضمير المستتر وجوبا ، فانه لا يجوز ظهوره كما يجوز ظهور الضمير المستتر جوازا

وقد غفلت الجماعة عما يجب من ربط الخبر بالمبتدأ ، فلم تقدر الضمير فى مثل — زيد قام — مع أن الضمير ها هنـا واجب التقدير لأجل ما يجب من هذا الربط فى هذا المثال ونحوه

التكملة

وترى الجماعة أن كل ما يذكر فى الجملة غير الموضوع والمحمول فهو تكملة ، وحكم التكملة أنها مفتوحة أبداً إلا إذا كانت مضافاً

إليها أو مسبوقة بحرف جر ، ثم ذكرت أن التكملة تجيء لبيان الزمان أو المكان ، ولبيان العلة ، ولتأكيد الفعل أو بيان نوعه ولبيان المفعول ، ولبيان الحالة أو النوع ؛ وقد ظنت أنها بذلك جمعت كثيراً من الأبواب كالمفاعيل والحال والتميز تحت اسم واحد وهو التكملة دون أن تضيع فى ذلك غرضاً

ونحن نرى أنها لم تفعل فى ذلك شيئاً ، فقد كانت هـذه الأبواب يجمعها قديماً اسم الفضلة ، فلم تفعل الجماعة إلا أن جمعتها تحت اسم التكملة ، ثم قضى عليها ما بينها من خلاف أن ترجع إلى تفريقها فى بيان اختلاف أغراضها ، وكذلك يقضى بهذا التفريق اختلاف أحكامها وأحوالها ، فكل واحد منها لابد له من باب تجمع فيه أحكامه ، وتبين فيه أحواله ، وهـذا أوفى بضبطها من جمعها كلها فى باب واحد تحت اسم التكملة ، وليس هناك ما يدعو إلى جمعها فى باب واحد . وقد حاولنا أن نجمع فيها مثل ما جمعنا فى باب المبتدأ والخبر فوجدناها أبواباً مختلفة المعنى ، متميزة الغرض ، ولم نجد إلا أن نتركها على حالها

الأساليب

ذكرت الجماعة أن فى العربيـة أنواعاً من العبارات تعب النحاة كثيراً فى إعرابها وفى تخريجها على قواعدهم مثل التعجب فله صيغتان هما — ما أجمل زيداً ، وأجمِلْ بزيد — فرأت أن تدرس أمثال هذه العبارات على أنها أساليب يبين معناها واستعمالها ويقاس عليها ، أما إعرابها فسهل — ما أحسن — صيغة تعجب والاسم بعدها المتعجب منه مفتوح ، و — أحسن — صيغة تعجب أيضاً ، والاسم بعدها المتعجب منه مكسور مع حرف الجر

ونحن نرى أن هذا إعراب ناقص لا يبين معنى الجملتين ، وأنه لا شيء فى أن نختار من إعراب النحاة فيهما أقربه إلى الفهم وأدناه إلى تصور المعنى المراد من اللفظ . فالصيغة الأولى — ما أحسن زيداً — ما فيها اسم بمعنى شيء ابتدئ به لتضمنه معنى التعجب ، وأحسن فعل ماض ، وزيداً مفعول به ، والمعنى شيء عظيم أحسن زيداً . والصيغة الثانية — أحسن بزيد — أحسن فيها فعل أمر ، وفاعله ضمير المخاطب ، والجار والمجرور متعلق بفعل الأمر ، والمعنى أعجب بحسن زيد ؛ فهذا إعراب تام عرف فيه موقع كل كلمة من هذا الأسلوب ، وليس فيه ما يمكن أن تأخذه هذه الجماعة عليه

وقد انتهت الجماعة بهذا من رأيها فى تيسير قواعد الاعراب ثم سكتت عما وجه إليها من النقد ، لأنها قد أخذت فيه بأمور لا يمكنها أن تدافع عنها . ولا أدرى ما يسكتها عنا وقد ذهبنا فى نقدها مذهباً يتفق مع غايتها فى إصلاح قواعد الإعراب ، ويذهب فى ذلك إلى أكثر مما ذهبت إليه ، ويقوض من القواعد القديمة ما لم تمن به من يوم أن دونها الأقدمون من النحاة

وسيكون ما ذهبنا إليه من ذلك فخراً جديداً للأزهر الذى تناسته وزارة المعارف فى هذا الاصلاح الذى ظنت أنها تقدر بدون الأزهر عليه . وسيكون مذهباً نحوياً جديداً تباهى به مصر فى عهد الفاروق نحاة البصرة والكوفة فى عهد الرشيد والمأمون ، ويقف به الأزهر مجدداً مجتهداً فى النحو ، وينفض عنه غبار التقليد الذى تراكم عليه حتى ناء به

وأما حظى من هـذا المذهب فإنى أدخره للمستقبل الذى يمكننى أن أصرح فيه باسمى ، وآمن فيه على نفسى مما يمكن أن يصيبنى بمخالفة المألوف فى النحو من يوم خلقه وتدوينه ، وأجد فى الأزهر من يعنى بما جئت به من ذلك على خلوه من المآخذ التى أخذت بها جماعة وزارة المعارف ، ومع هذا تجد هذه الجماعة من وزارة المعارف عناية بعملها ، فتعرضه على رجالات العلم هنا وهناك ، ولا يضيق صدرها بمخالفته للمألوف فى ذلك العلم ، وهذا أمر نحمدها عليه ، وندعو الله تعالى أن يقرب ذلك اليوم الذى يأخذ فيه الأزهر بمثله

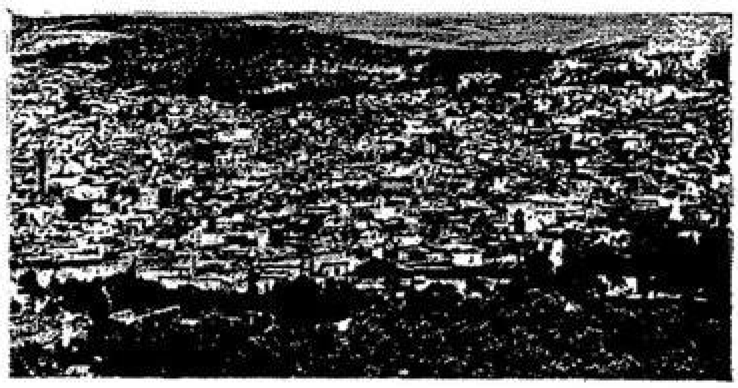
(أزهرى)

ماضي القرويين وحاضرها *

للأستاذ عبد الله كنون الحسني

- ٢ -

ولم يصل الاشتغال ببقية العلوم الاسلامية بالقرويين إلى درجة الاشتغال بالفقه ولكنه لم يقصر عنها كثيراً ؛ فكانت علوم الحديث والتفسير والأصول مما لم ينقطع تدريسه فى الكلية فى أى عصر حتى العصور المتأخرة. حين كان بعض هذه العلوم فى بلاد أخرى لايقرأ إلا للتبرك بسرده. وكانت هذه الدراسة مجال البحث والاستنتاج وفرصة المحاضرات القيمة فى التربية والتهذيب، وحسبك أن تقرأ وصف مجلس من مجالس العلامة أبى القاسم العبدوسى الذى قضى التونسيون العجب منه فى ذلك الوقت وأن تعلم أن ابن الصباغ أحد رجال هذه الجامعة أملى على حديث : يا أبا عمير ما فعل النغير ٤٠٠ فائدة



(مدينة فاس التى يوجد بها جامع القرويين)

ومن ثبت أسماء النابهين فى هذه العلوم وأسماء مؤلفاتهم تدرك مبلغ القيام الذى كان لأهل القرويين عليها . ونحن نذكر بعض البعض ممن نعرفهم ونعرف انقطاعهم فى الكلية الذى تنقطع دونه الأطماع، ولا يمنعنا من التبسط فى شرح ذلك إلا إرادة الايجاز وخوف الاملال[1] وهؤلاء مثل العالم الصوفى الجامع على بن حرزهم المتوفى سنة ٥٥٠ والتكلم أبى بكر السلاجى صاحب البرهانية فى علوم الاعتقاد ، كان يعد فى طبقة أبى المعالى الجوينى ؛ توفى سنة ٥٦٤، والمفسر المحدث ابن عبد الجليل القصرى المتوفى سنة ٦١٥ ، والمفسر الأصولى أبى عبد الله المزدغى المتوفى سنة ٦٥٥ والمحدث الراوية ابن رشيد السبتى المتوفى سنة ٦٩٢ ، والعالم الصوفى الجامع الشيخ زروق المتوفى سنة ٨٩٩، والحافظ احمد بن يوسف الفاسى المتوفى سنة ١٠٢١ والحافظ أبى العلاء العراقى المتوفى سنة ١١٨٣ والمفسر المتكلم الشيخ الطيب ابن كيران المتوفى سنة ١٢٢٧

ولا ننس أن ننبه إلى ما كان لعلوم القراآت من شأن كبير فى الكلية فقد كانت العناية بها شديدة فى كل عصر، وكان يتخصص فيها كثير من العلماء فضلا عن مشاركة جمهورهم فيها، لأن أوائلها كانت تتلقى فى الكتاتيب القرآنية التى ما كان يتولاها إلا كبار الأساتذة المتحققين بتلك العلوم وغيرها. تأتى هى الثانية بعد الفقه فى برنامج العلوم التى كانت تدرس فى القرويين وفى جميع المغرب. ويكفيك أنه كان لطلبتها مدرسة خاصة بهم هى مدرسة السبعيين (أى القراء بالروايات السبع) الواقعة بازاء مدرسة الأندلس والتى كانت قد درست معالمها وأغلقت منذ مدة ثم هى الآن قيد الاصلاح والترميم .

ومن نبغاء خريجى القرويين في هذه العلوم ميمون الفخار صاحب التحفة والدرة وغيرهما المتوفى سنة ٧١٦ وابن برى صاحب الدرر اللوامع المتوفى سنة ٧٣١ والخراز صاحب مورد الظمآن المتوفى سنة ٨١٨ وسواهم كثير .

وأما علوم اللغة والأدب فقد ظلت الكلية رافعة رايتها منذ انبثاق فجر النهضة العلمية فى المغرب على عهد المرابطين إلى يوم الناس هذا . ومر عليها زمن لم يكن ينافسها معهد آخر أيا كان فى أداء رسالة الأدب العربى والقيام على حفظ تراثه من الضياع ، وذلك حين يقول الشيخ محمد بيرم الخامس فى كتابه (صفوة الاعتبار) : « لعمرى إن صناعة الانشاء فى الدول باللغة العربية كادت تكون الآن مقصورة على دولة مراكش »

ولقد درج فى الكلية من فطاحل علماء اللغة وكبار أهل الأدب ما بقى فخراً لها على مر السنين والأعوام ، مثل الشاعر الأديب يحيى بن الزيتونى الذى قهر ابن زيدون فى بلاط ابن عباد، والشاعر الباقعة ابن حبوس الفاسي ، والعلامة ابن رقية من ذرية المهلب بن أبى صفرة كان حجة فى الأدب وله كتاب فى الشعر والأنساب توفى سنة ٦٠٦ هـ . والشاعر المشهور أبى العباس

* انظر العدد ٢٦١

(١) كل ما نجمله هنا تجد تفصيله فى النبوغ المغربى .

الجراوى الذى يعد من مفاخر هذه المدوة ، وصاحب كتاب صفوة الأدب وديوان العرب المعروف بالحماسة المغربية الموجود مختصره فى مكتبة بالآستانة [1] توفى سنة ٦٠٩ بعد وفاة المنصور الموحدى مخدومه بنحو ١٤ عاماً خلاف قول ابن خلكان إنه توفى فى آخر أيامه . والشاعر الفيلسوف أبى العباس الجزنائى الذى كان محفوظه من شعر المحدثين فقط عشرين ألف بيت . توفى سنة ٤٧٩ ؛ والنحوى أبى عبد الله بن آجروم المشهور المتوفى سنة ٧٢٣ ؛ والنحوى اللغوى أبى زيد المكودى المتوفى سنة ٨٠٧ والنحوى أبى العباس القدومى المتوفى سنة ٩٩٢ ، والأديب الشاعر الناثر عبد العزيز القشتالى ، مفخرة المغرب فى عصره ، المتوفى سنة ١٠٣٢ ؛ والنحوى محمد المرابط الدلائى المتوفى سنة ١٠٨٩ ؛ والشاعر الأديب ابن زاكور شارح الحماسة والقلائد وصاحب كثير من الكتب الأدبية القيمة المتوفى سنة ١١٢٠ ؛ والشاعر الرقيق ابن الطيب العلمى صاحب الأنيس المطرب المعروف المتوفى سنة ١١٣٤ ؛ وإمام أهل اللغة في عصره أبى عبد الله محمد بن الصميلى صاحب الحاشية الفريدة على القاموس التى استقى منها كثيراً السيد مرتضى صاحب (التاج) ، وعنه يعبر بشيخنا وله عشرات الكتب غيرها فى اللغة والأدب توفى سنة ١١٧٠ ، إلى غير ذلك ...

بقى الكلام في العلوم الفلسفية بمعناها القديم الذى يشمل الرياضيات والطبيعيات ومنها نوعان لهما ماض زاهر فى الكلية ، فمنذ انضمام الأندلس إلى المغرب فى أيام المرابطين ، جعل الاحتكاك بأهل الجزيرة يفعل فعله فى توجيه أنظار أهل هذه البلاد إلى الأخذ بأسباب تلك العلوم ، وكان أن انتقل إلى هنا — بانتقال الدولة — كثير من علمائها المتحققين بأجزائها فتهافت عليهم طلبة القرويين يقتبسون من مشكاتهم ويأخذون بأدواتهم فما لبثوا أن شاركوهم فى جميع تلك التعاليم ونظروا إليها نظرتهم ونبغ منهم أفراد كثيرون كان لهم قياس « حس » على فنون من العلم الطبيعى والرياضى والإلاهى وآثار جيلة فى جميع ذلك وما برحوا عاملين على بثها ونشرها والتواصى بتبليغها وتلقينها لمن يأتى بعد جيلاً فجيلا حتى تأدت بقية منها إلى العصر الحاضر فى مظهر من البلى والقدم لا يُرضى أنصارها ومحبيها وإنما كان ما تحت ذلك المظهر لا يزال يحوى كثيراً من الفوائد القيمة والحقائق العلمية الثابتة



(مدينة فاس التى توجد بها جامعة القرويين)

فمن رسل الثقافة العلمية من أهل الأندلس إلى المغرب أبو بكر ابن باجة الفيلسوف والعالم الطبيعى والرياضي والطبيب والموسيقار المشهور ، وأبو العلاء بن زهر الطبيب البارع المدقق فى شتى الأمراض ، وابنه أبو مروان صاحب كتاب التيسير في المداواة والتدبير ، والذى أثر تأثيراً بليغاً فى الطب الأوروبى بترجمة كتبه وهو ميت فكيف يكون تأثيره فى المغرب وهو حى ؟ وأبو بكر ابن طفيل الفسكسى والطبيب والفيلسوف المشهور صاحب قصة حى بن يقظان وأبو الوليد بن رشد الذى ما أثر أحد تأثيره في نهضة العلوم بأوربا . وقد كان فى بلاط الخليفة الموحد يوسف ابن عبد المؤمن الذى بالغ فى رعايته وإكرامه وهو الذي حمله على شرح كتب أرسطو وتلخيص فلسفته

ومن الأفراد النابغين فى هذه العلوم من أبناء البلاد الذين درجوا من الكلية وتخرجوا فيها العلامة أبو الياسمين كان فرداً فى العلوم الرياضية من هندسة ونجوم وعدد ، وله أرجوزة فى الجبر قرئت عليه بأشبيليه سنة ٥٨٧ وكان هو الذى نشر ذلك العلم بها . ويوسف بن ميمون الاسرائيلى الطبيب والرياضى الكبير قرين موسى بن ميمون وصاحبه بمصر واجتمع هو وإياه على إصلاح هيئة ابن أفلح الأندلسى . وهذا وإن لم يدرس

---

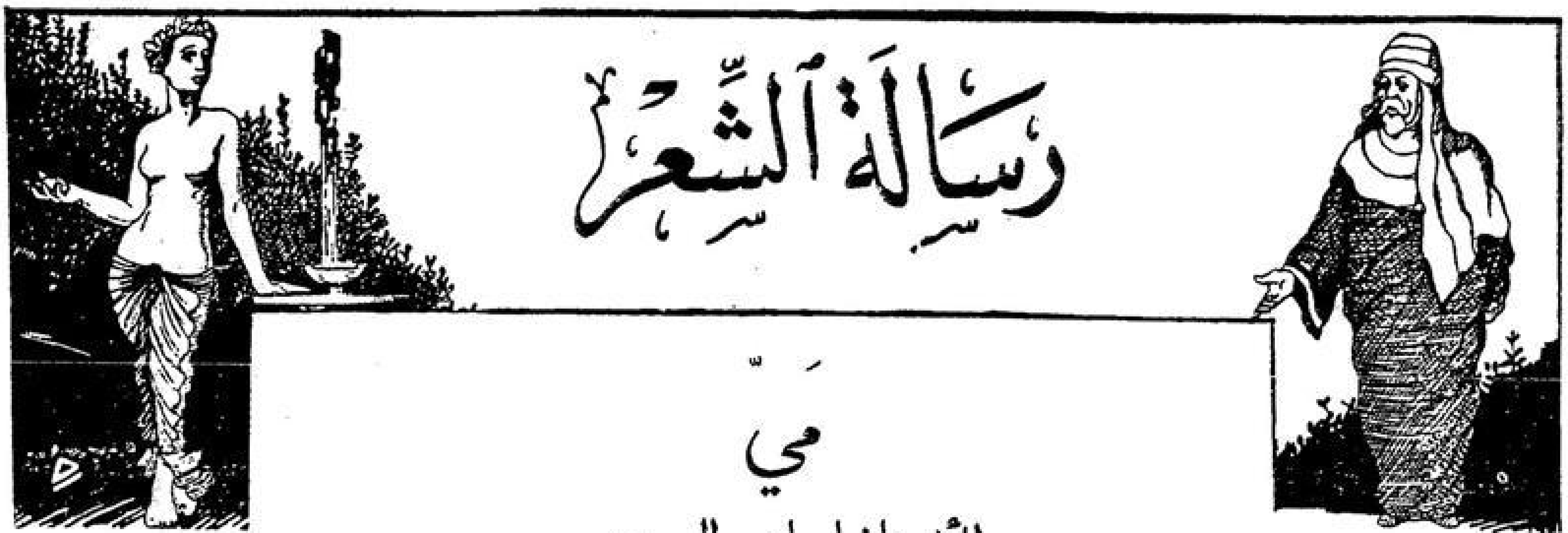
(١) شاع فى الأوساط العربيـة وقد قيل إنه ضاع فلذلك نبهنا عليه . ونقول بهذه المناسبة إننا بذلنا جهوداً كبيرة للحصول على هـذا المختصر ووسطنا فى ذلك المجمع العلمى العربى ولا زلنا لم نظفر به

بالقرويين فإن تخرجه على يد علمائها لأنه من أهل فاس وبها درس كما يقول ابن القفطى . وابن البناء المدوي ، العلامة الرياضى والفلكى والطبيب المشهور له موضوعات كثيرة فى الحساب والجبر والفلك وغير ذلك وتفوق على كثير من علماء الرياضة قبله سواء فى الشرق أو المغرب وخاصة فى حساب الكسور ، توفى سنة ٧٢١ ؛ وابن أبى الربيع اللجائى العالم الرياضى الفلكى المبدع له أعمال متفوقة وآلات نافعة فى علم الهيئة ، وكانت وفاته سنة ٧٧٣ والعلامة الجادري صاحب روضة الأزهار فى علم الهيئة المتوفى سنة ٨١٨ ؛ وأبى القديم الوزير الطبيب والعالم النباتى المشهور صاحب مدينة الأنوار فى شرح ماهية العشب والأزهار ، وكان طبيب المنصور الذهبى الخاص . وأبى القاسم الغول العالم الرياضى والطبيب مؤلف كتاب حافظ المزاج ولافظ الأمشاج المتوفى سنة ١٠٥٩ وابن حميدة المطرفي صاحب المقرب فى الهيئة المتوفى سنة ١٠٠١ ، وأبى سليمان الشروداني الفيلسوف والرياضى البارع له أعمال وآلات لم يسبق بها فى الفلك توفى سنة ١٠٩٥ وعبد الرحمن العبابى العلامة الطبيبى والرياضى والفيلسوف مؤلف الأنتوم فى مبادئ العلوم تكلم فيه على زهاء (١٥٠) علماً واستوعب نظرياتها واستوفى حدودها فهو من الموسوعات العظيمة الفائدة توفى سنة ١٠٩٦ ، وعبد الوهاب أدراق الطبيب المدقق صاحب الذيل على أرجوزة ابن سينا وغيره من الكتب الموضوعية المتوفي سنة ١١٥٩ ، وعبد القادر بن شقرون صاحب الشقرونية وغيرها فى الطب، وكثير غير هؤلاء لم نشر إلى أسمائهم اختصاراً لحصول المقصود من الرسالة على ما قامت به هذه الجامعة فى الماضى من نشر الثقافة العلمية وتأدية رسالة العربية كما حملت. ولهذا لا يستغرب أن يؤمها الطلبة من أقصى بلاد أوربا وغيرها ، فهناك فى تلك العصور التى يدعونها عن حق — بالعصور المظلمة — لم يكن قد تقرر للعلم مدلول بعد . وقد اشتهر كثير ممن درس فيها من الأجانب وكان لهم تأثير قوى على العقلية الأوربية فى ذلك الحين ، ومن أعظمهم البابا سلفستر ، الذى هو أول من أدخل إلى أوربا الأعداد العربية التى لا تزال مستعملة فى المغرب إلى الآن وتعرف بحروف (الغبار) أو (بالغبارى) بدون إضافة

ثم إن نظام الدراسة فى القرويين لا يختلف عما هو عليه فى الجامعات الاسلامية الأخرى ، كما لم يختلف عما كان عليه منذ الأزمان المتطاولة : يجلس الأستاذ فيحلق عليه الطلبة ويأخذ فى إملاء درسه الذى يكون فى الغالب تفسيراً لمتن وتقريراً لأقوال شراحه ونظراً فيما بينها من الاختلاف ، وقد ينجر به الحديث إلى الخروج عن الموضوع ، إنما إذا كان ضليعاً فى مادته واسع الاطلاع عظيم المحفوظ فلا خوف على الطالب من ذلك الخروج ، بل إنه ليستفيد منه ما لا يقدر له أن يجده فى كتاب أو يهتدى إليه بمجرد فهمه

وإذا كان الطالب ممن لازم الحضور بمجلس أستاذ ما ، وظهرت عليه مخايل النجابة فانه يحق له أن يتقدم إلى ذلك الأستاذ بطلب أجازة تكون — كأنها أهم ما أنشأه فى حياته الدراسية — بمثابة أطروحة (thèse) منها تتقرب منزلته فى التحصيل

(يتبع) « طنجه » عبد الله كنون الحسنى



مي

للأستاذ ابراهيم العريض

وَلما تفيَّأنا ظِـلالَ خَميلةٍ تُساقطُ مثلَ الدُّرِّ فوق خُطانا
وحدَّثتُها بالُحبِّ وَهْيَ مُصيخَةٌ عَلَى أملٍ أن تلتقي شفتانا
أشاحتْ إلى الأزهارِ عنّي بوجهِها دَلالاً وقالت لي كَفَى هَذَيانا
أتأمُلُ مني أن أُصدِّقَ بالهوى جُزافاً . وطرْفي لا يراهُ عيانا

***

فقلتُ لها يامَيُّ ما الروضُ ناضراً ولا الطيرُ أحلى ما يكونُ لِسانا
بأحسنَ من خدٍّ تورَّدَ في الصِّبا وأعذب من ثغرٍ يفيضُ بيانا
لقد كانَ أولى أن نمتِّعَ بعضَنا بأنظارِ بعضٍ في جُنونِ صِبانا
وماقيمةُ الأزهارِ في جانبِ الهوى أليسَ الهوى يامَيُّ أعظمَ شانا
أناشدُكِ الُحبَّ الذي عَهْدُنا بهِ سويًّا كأخفى ما يكونُ مكانا
ألم تشعُري شيئاً تمثَّلَ بيننا لِأوَّلِ عهدٍ تمَّ فيهِ لِقانا
أبعدَ تعاطينا معاً كأسَ أُلفةٍ يجوزُ لنا ألا نحسَّ صَدانا
فمالكِ تستعدينَ قلبي علَى الهوى كأنكِ ما شاطرتِهِ الخفقانا

***

تعاليْ إلى عَهْدٍ وثيقٍ من الهوى نعيشُ عليهِ في الحياةِ كِلانا
فلا يَزْدَهي قلبي بشيءٍ مُؤمَّلٍ إذا لم يُصادفْ في فؤادِكِ شانا
ونُفرغَ في كأسِ الأماني حُبَّنا فتسعَى بهِ ما بيننا شفتانا
ولا نلتقي إلا كما لَفَّتِ الصَّبا فُروعاً تفيَّأنا بهنَّ أمانا
ونختالُ في رَوضِ المحبَّةِ وحدَنا فلا يتغنَّى طيرُها لِسوانا
وإن تعوِدي يوماً فؤادكِ خافقاً شعرتُ لقلبي مثلَهُ خفقانا
كأنَّ الذي ينسابُ مِلءَ كِليهما صُبابةُ ما ساقَ الغرامُ سقانا
وآنًا نُبكِّي كالطيورِ وُجودَنا بلحنٍ وكالأزهارِ نضحكُ آنا
فنُسعِدُ بعضاً باشتراكِ سُرورنا ونُسعِدُ بعضاً باشتراكِ أسانا
كذلكِ نحيا بالسَّواءِ وها فمي ضَماناً لعهدٍ لو أردتِ لكانا

***

فعندئذٍ مالتْ إليَّ ببِشرِها فأيقنتُ أنا شيِّقانِ كِلانا
فأدنيتُ ثغري باشتياقٍ لثغرِها فما افترَّ حتى قبَّلتهُ حنانا
وقالت « إذاً هذا هوَ الُحبُّ » قلتُ « لا بلِ الراحُ » قالت « فلْنُبَلَّ صَدانا »

(البحرين) ابراهيم العريض

أنا مالي ...

للأستاذ صالح جودت

تركتني في اعتلالي ورمتني لليالي
بعدما أشهدتُها القلبَ فقالت: «أنا مالي!»

***

أنت يا مَنْ أرسلُ الدمعَ إليها ... وهو غالِ
أنا ما آمنتُ من قبلكِ يوماً بالجمالِ
وأنا بالسحر والفتنة ما كنتُ أبالي

ذهب الحبُّ بنفسي ... ووقاري وجـــلالي
أيّ خَطْبٍ عندما تدْ ... مَعُ آماق الرجال!
أنتِ يا مَنْ أسأل الأيــّـام ... عنهـا والليالي
ليتهـا تستشعر القســوةَ ... فى ذُلّ السؤال!
تركتنى في اعتـلالي ... لم يَرُعْها سوءُ حالي
فتضرعتُ إلى الليــل ... بقلب غيرِ سالِ
قلتُ يا ليلُ أما عنــدكَ ... من طيفِ خيال؟
رَقّ قلبُ الليــل حتى ... بعَثَ الطيفَ حيالي
فتمنيتُ عليــه ... بشحوبي وهزالي
إن رأى رَبّتَهُ قَـصَّ ... عليها ما جرى لي
فانثنَى عنى مــلالاً ... وتوَلّى فى دلال
بعد ما ردد ما يحـفظ ... عنها: «أنا مالي!»

***

قلتُ لله وقــد قــلّ ... مع الدنيا احتيالي
أأنا يا ربِّ عبــدٌ ... لك لم يخطرْ ببال؟
وإذا ضَـلّ فؤادى ... أفيعييكَ ضلالي؟
وإذا ضاقتْ بىَ الأر ... ضُ فهل تأبى احتمالي؟
آه لو قلت كما قا ... ل حبيبي «أنا مالي!»

حسناء في بحر الروم

للأستاذ محمود عماد

عومى على الماء يا أصفى من الماء ... ثم ارسبي فيه ضوءا طىّ أضواء
واستقبلى موجةً يقبلْ على عجل ... إليكِ موجُ المحيط الهادئ النائى
يافرحةَ البحر تَسْرى فى جوانبه ... ووحشةَ البرّ أقوى أيّ إقواء
سَلِى الأجاجَ ألم يفقدْ ملوحتَهُ ... وأنتِ مطويةٌ منه بأطواء؟
كم من قلوب عليكِ اليوم حائمة ... لا تغرقيها إذا ما غبتِ فى الماء
كذا أظلّتْ سليمانَ الطيورُ فهل ... أتاكِ هدهدُكِ الوافي بأنباء؟
أم أنتِ (فينوس) تجلى من محارتها ... فى يوم ميلادها الثانى إلى الرائى؟
هاتى قصاراكِ من حُسنٍ ومن مرحٍ ... واعلِى على كل تشريع وإجراء
فعالَم البحرِ يرْعَى شرعةً وسطا ... ما بينَ عالم أشباحٍ وأحياء
تجردَ الجسمُ فيه من كثافته ... وهام كالطيفِ فى ماء ولألاء
لم أدرِ ما الأرضُ لولا البحرُ لطّفها ... ولا الحياة بلا لهوٍ وإغراء

لحن جديد

للأستاذ فريد عين شوكه

أسْلَمْتُ للقَدَر الرَّضِيِّ يمينى ... لحنا ولم يُخلِف علىَّ ظنُوني
وَمَضى فوافى بى إلى سيفِ المنَى ... فلثمتُ طهْرَ ترابه بجبيني
وعبأتُ أحشائى بطيب نسيمه ... وكحلْتُ بالنور السنىّ جفوني
وسَعَيتُ فى جنباته أشكو لها ... عبثَ النوَى وأبثهُنّ حنيني
يا طالما أمّلتُ حُلوَ لقائه ... فتحطّمت دون اللقاء سفيني
وظللتُ فى بحر الحياة مُغالباً ... موجاً يثور علىَّ كالمجنونِ
ما كان أضعفنى حِيالَ كفاحِهِ ... لولا المنى برَقتْ لجَفنٍ جُفونى
لولا الأمانىُّ العِذابُ وسِحْرُها ... ما عاش هذا الكون بضعَ سنين
يا مَشرقَ الأمَل الرَّغيبِ المُشتهَى
لا زال فيضُ سَناكَ مِلْءَ عيُونى
لازلتَ تُسعدُنِى بكل رَجيّةٍ ... تجلو الأسى عن قلبيَ المحزونِ
بدّدْ ظلامَ اليأس بين جوانحى ... وارْدُدْ علىَّ البِشرَ غيرَ ضنينِ
وانشرْ شُعاعاتِ الرّضى في خاطِرى
تُسْكِنْ نوَزايَ نوْزتِي وشجُوني
ما أفسَدَ الأيّامَ يغمرها الأسى ... فتضيع بينَ شكايةٍ وأنينِ
يا قلبُ وافتكَ المنى بسّامةً ... كالبدرِ يسطعُ فى الليالي الجُونِ
فتحتْ ذراعيها إليكَ وأقبلتْ ... فتّانةً تسعى إلى مفتونِ
صفّقْ لها يا قلبُ بعدَ صبابةٍ ... واظفرْ بها يا قلبُ بعدَ سكونِ
واغنَمْ لذاذتَها وعُبَّ رويَّها ... عَبَّ الظِّماءِ وِرْدَ خيرِ مَعينِ
ودَعْ حياةَ الزهد فهى ثقيلةٌ ... كالسجنِ أعباءٌ على المسجونِ
وانعَمْ فأيّامُ الحياةِ عزيزةٌ ... إن ودّعتْ أرخصْنَ كلّ ثمينِ



بيننا وبين لجنة إنهاض اللغة العربية

أرسل إلينا صديقنا الأستاذ أحمد أمين هذا الكتاب جواباً عما سأل (سائل) في (البلاغ) وفي (الرسالة) ننشره ثم نعقب عليه :

أخي الأستاذ الزيات

سلام عليكم ورحمة الله

قرأت في مجلة الرسالة سؤالاً موجهاً إلى لجنة إنهاض اللغة العربية يسأل صاحبه لِمَ لم تقرر اللجنة كتب الأستاذ الزيات

ورداً عليه أقول : إن اللجنة لم تقبها كتب الأستاذ وكتبت فيما كتبت للوزارة :

إن للأستاذ الزيات كتابين في مستوى الطلبة هما آلام فرتر ورفائيل ، وهما من خير الكتب من حيث دقة الترجمة وجزالة الأسلوب ونصاعة التعبير وقوة البيان — ولكن آلام فرتر موضوعه حب هائم ينتهي بانتحار فظيع . ورفائيل رسائل غرام بين شاب وامرأة متزوجة

ولم نر من الخير أن توضع أمثال هذه الكتب في أيدي الطلبة لناحيتها الأخلاقية لا ناحيتها البلاغية ، ولو فعلنا لخالفنا ضمائرنا وهاج علينا أولياء أمور الطلاب بحق

أما كتاب (في أصول الأدب) فقد منعنا من اقتراحه عدم الوحدة في موضوعه واشتماله على مقالات فوق مستوى الطلبة

فهل يرى السائل بعد هذا البيان أن اللجنة تجنت على الأستاذ الزيات أو غمطته حقه في الأدب أو مست شيئاً من مكانته في عالم البيان ؟

لا شيء من ذلك ولكنه الحق قدمته على كل اعتبار . وهل يطالب المرء بأكثر من أن يعمل وفق ما يعتقده من حق ؟

أما ما وراء ذلك من لمز بأننا تملقنا الرؤساء وقصرنا اختيارنا على مؤلفات من نرجوهم أو نخشاهم فاننا نعرض عن الرد عليه والخوض فيه ، فقد التزمنا في الحياة أن تصم آذاننا عن السباب وما يتصل به . والسلام عليكم ورحمة الله

١٧ – ٨ – ٩٣٨ احمد امين

ذلك هو جواب الأستاذ أحمد أمين عن أسئلة (سائل) . والذي يعرف الأستاذ أحمد أمين ويعلم أن أخص ما يميزه حياة الضمير وسلامة المنطق، يدرك ما كابده الأستاذ من الجهد في إقناع نفسه بهذا الجواب . فإن (آلام فرتر) كتاب عالمي قرأه ولا يزال يقرأه ملايين من الفتيان والفتيات في جميع أمم الأرض ، ولم نعلم أن أمة من هذه الأمم حظرته على الطلاب لأن «موضوعه حب هائم ينتهي بانتحار فظيع» . وقد ترجم إلى العربية منذ ثمانية عشر عاماً ، وأعيد طبعه سبع مرات، وقرأه كل مثقف في بلاد العروبة، ولم نسمع أن حادثة من حوادث الانتحار اليومية قد وقعت بسببه . وماذا يكون مصير التعليم والتمثيل إذا طبقنا هذا المبدأ على مآسي النوابغ في كل أدب ؟ . على أن فرتر مثال العفة والاخلاص والايثار والتضحية ، فلا يمكن أن يعاب من جهته الأخلاقية ؛ والأستاذ أحمد أمين نفسه حين ألف كتابه (الأخلاق) قد اقتبس صفحة منه وعزاها إليه

أما (رفائيل) فحبه حب عذري صوفي لا نجد له مثيلا في الكتب ولا في الطبيعة . فهل يرى الأستاذ أن الحب جريمة وإن لم يجُرَّ إلى معصية ؟ إن كان ذلك رأيه فلم لم يحظر القرآن على الطلاب المسلمين لأن فيه (سورة يوسف) ، والتوراة على الطلاب النصارى واليهود لأن فيها (نشيد الأناشيد) ؟

لا أدري كيف قال الأستاذ : «ولم نر من الخير أن توضع أمثال هذه الكتب في أيدي الطلبة لناحيتها الأخلاقية لا ناحيتها البلاغية ، ولو فعلنا لخالفنا ضمائرنا وهاج علينا أولياء أمور الطلبة

بحق » فهل نسي صديقنا الأستاذ أحمد أمين أنه رئيس (لجنة التأليف والترجمة والنشر) وأنه هو نفسه الذى قرر طبع هذين الكتابين على نفقتها، وأنه هو نفسه الذي طلب إلى وزارة المعارف أن تشترى منهما لمكتبات مدارسها فاشترت ؟

بقي الكتاب المسكين الثالث (فى أصول الأدب) ، وهذا الكتاب هو مجموعة مبتكرة من المحاضرات والمقالات تدوز كلها حول الأدب وأصوله وقواعده . فليت شعرى ما ذا يريد الأستاذ بوحدة الموضوع الذى لم يجدها فيه؟ نحن لم ندع أنه قصة، ولم نقل إنه كتاب فى موضوع معين . إنما هو بحوث نشرناها مفردة ثم جمعناها تحت وصفها العام كما فعل العقاد فى (المطالعات)، والمنفلوطى فى (النظرات) ، والبشرى فى (المختار) . ثم ما هذا المستوى الذى وضعه الأستاذ للطلاب وجعل فوقه (فى أصول الأدب) وتحته (ضحى الاسلام) ؟ وهل يصعب على الطالب الذى يفهم ضحى الإسلام لأحمد أمين ، وابن الروى للعقاد ، أن يفهم (فى أصول الأدب) وأكثره مقرر على طلاب السنة التوجيهية حتى لم يجد المعلمون والطلاب فى العام المنصرم مرجعاً غيره فى هذا المنهج ؟

الحق أن أسئلة (سائل) لا تزال تطلب الجواب ، وأن اضطهادنا فى وزارة المعارف يرجع إلى أسباب غير هذه الأسباب..

الزيات

الثقافة النسوية واللغة العربية

أصدر صاحب المعالى وزير المعارف القرار الآتى :

بعد الاطلاع على القرار الوزارى الصادر فى ١٤ سبتمبر سنة ١٩٣١ بانشاء معهد تربية للبنات به قسم للتخصص فى اللغة العربية . وبناء على ما تجمع لدينا من معلومات بشأن هذا القسم وأنه فى حاجة إلى رفع مستواه وإلى أن تكون فيه دراسة الدين والثقافة الاسلامية اللذين يتصلان اتصالاً وثيقاً باللغة العربية عنصراً مهماً بين مواد الدراسة ، ورغبة فى إعداد مدرسات لا تقتصر قدرتهن على التدريس بالمدارس الابتدائية ، وبناء على ما عرضه علينا وكيل الوزارة — قررنا ما يأتى :

المادة الأولى — ينشأ قسم بإحدى المدارس الثانوية للبنات بالقاهرة يسمى « قسم اللغة العربية الثانوى » تكون مدة الدراسة به ست سنوات تدرس التلميذات به في السنوات الأربع الأولى مواد الثقافة العامة على حسب منهج التعليم الثانوى للبنات مع مزيد عناية باللغة العربية والثقافة الاسلامية ، وفى السنتين الأخيرتين توجه الطالبات توجيهاً كاملا فى اللغة العربية وموادها وفى الثقافة الاسلامية

المادة الثانية — تؤلف لجنة لوضع المناهج التى يستلزمها إنشاء هذا القسم

المادة الثالثة — تعد مناهج انتقالية لشعبة اللغة العربية بمعهد التربية الحالي بالسنتين الأولى والثانية تسير عليها الدراسة فى بدء العام المقبل بحيث تكون هذه الدراسة متجهة إلى الغاية التى تنشدها الوزارة من التخصص فى اللغة العربية والثقافة العربية

تاريخ الأدب المقارن فى دار العلوم

رأى معالى وزير المعارف عند بحث مناهج القسم العالى لدار العلوم على أساس تنظيمها الجديد أن ضروريات الثقافة العربية لا تقتصر على دراسة الأدب العربى فى كل عصوره ، بل تشتمل دراسة الآداب الأجنبية الحديثة والالمام بكيفية تدرجها فى الممالك المختلفة ووجوه الاختلاف بينها وبين الأدب العربى من حيث الخيال وطرائق التصوير وروح الأسلوب وإرجاع ذلك إلى أسبابه من آثار البيئة واختلاف المواطن وقوة العقلية . وتحقيقاً لاستكمال هذه الغاية أشار معاليه على المختصين باضافة دراسات أدبية من هذا النوع إلى مناهج الأدب بهذا المعهد ، على أن تشمل فضلا عن الجانب التاريخى والدراسة المقارنة دراسة أخرى لتاريخ بعض البارزين من أدباء انجلترا وفرنسا وألمانيا وروسيا فى العصر الحديث وبعض البارزين فى الممالك الأخرى التى اشتهرت بازدهار الأدب فيها

هذا وقد روعى فى العمل بهذا الرأى ما لوحظ من أن القراءة الغربية لها أثر كبير فى إنهاض اللغة العربية إذا ما كان القارئ ذا ثقافة عربية أصلية وذا سيادة شخصية وطابع خاص فى تقبله لمختلف الآراء والمذاهب

على أن فائدة هذا التوجيه الأدبى الجديد تكون فى صورة أجلى وأوضح إذا ما راعينا أن أستاذ اللغة العربية الذى تعده وزارة المعارف للمستقبل يجب أن يكون من كافة النواحى كامل الثقافة حتى يحتفظ بهيبة الشخصية أمام تلميذه الذى يلم ولو بنزر يسير من الآداب الغربية

قرار جماعة كبار العلماء في قضية فلسطين

اجتمعت جماعة كبار العلماء بالجامع الأزهر يوم الخميس ٢٢ جمادى الثانية سنة ١٣٥٧ الموافق ١٨ أغسطس سنة ١٩٣٨ ، واستعرضت حالة فلسطين وما يجري فيها من التصادم، وأسفت أشد الأسف لهذه الحالة التي هي بلا شك نتيجة للسياسة التي انتهجتها حكومة الامبراطورية البريطانية نحو هذه البلاد وبخاصة سياسة التقسيم التي يراد فرضها على بلاد عربية إسلامية ذات ذكريات عند المسلمين لم تغب بعد عن أذهانهم ، والتي من شأنها أن تصبغ بلاداً عربية إسلامية صبغة أخرى بطريق لا مبرر له، ومن شأنها أن تؤثر في علاقات الأمم الاسلامية بحكومة الامبراطورية البريطانية تأثيراً سيئاً

لذلك قررت جماعة كبار العلماء ما يأتي :

١ — تحتج على استمرار هذه السياسة وعلى مشروع التقسيم على أية صفة يجري عليها التقسيم والمطالبة بأن تبقى للبلاد صفتها العربية الاسلامية وأن يحافظ على كيانها القومي

٢ — تدعو جماعة كبار العلماء زعماء بلاد الاسلام إلى التكاتف واتخاذ ما يرونه مفيداً من الطرق للمحافظة على بلاد فلسطين ، وعلى إيجاد حل ينهي هذه الحالة السيئة ليسود السلام بين الأمم

٣ — تدعو جماعة كبار العلماء المسلمين إلى تذكر قضية فلسطين ليلة المعراج وأن يتوجهوا إلى الله سبحانه في تلك الليلة بأن يحفظ هذه البلاد مما يراد بها ، وأن يحفظ الآثار المقدسة من الأخطار القريبة والبعيدة

وقررت إبلاغ هذا إلى الجهات المختصة بواسطة حضرة صاحب الدولة رئيس مجلس الوزراء بالنيابة

احتجاج مسلمي الهند على كتاب للمستر ولز

روت جريدة الديلي اكسبرس أن المسلمين الهنود أعضاء جمعية الشبان المسلمين في لندن اجتمعوا أمس واحتجوا على فقرة واردة في كتاب ألفه المستر هـ . ج . ولز الكاتب الانجليزي وعنوانه « مختصر تاريخ العالم » . وقد تكلم خطيب بعد آخر قائلين إن ولز أهان الاسلام وطلبوا من السلطات الهندية أن تمنع دخول الكتاب إلى الهند . وأحرقوا نسخة من ذلك الكتاب

ثم اتفق المجتمعون على السير بموكب منظم إلى مكتب مندوب الهند السامي وإلى وزارة الهند ، واقترحوا أن يمروا بموكبهم على منزل المؤلف في لندن لمطالبته بالاعتذار

وقد جاء من كلكوتا أن ألوفاً من الهنود حضروا الاجتماع الذي عقد فيها أخيراً للاحتجاج على المؤلف

وقد نشر هذا الكتاب أول مرة في سنة ١٩٢٢ . ولكنه ترجم في المدة الأخيرة بطريقة ملخصة إلى اللغة الهندوستانية . وقد نشرت جريدة تصدر هناك باللغة الوطنية مقالا عنه نددت فيه به وطعنت في المستر ولز فهاجت خواطر الناس وعقدوا اجتماعاً للاحتجاج في كلكوتا . وقام الآن بعض المخلصين لايمانهم في لندن يصنعون كما صنع إخوانهم في وطنهم

وقد قابل ممثل إحدى الصحف الهندية الكبرى المستر ولز فقال إن انتقاداته لم تكن قليلة الاحترام للعقائد وهو عارف بما أدى الاسلام لثقافة العالم من الخدمات، وليس من العدل أن يحكم هؤلاء المسلمون على آرائه بفقرة شاردة وردت عرضاً في تلخيص كتابه

وقالت جريدة إيفننج ستاندرد إن عشرة من المسلمين المتشددين يعملون الآن ليل نهار في صنع ثلاثة تماثيل من الورق الصفيق للمستر ولز يريدون إحراقها في أرض مسجد لندن . فيعقدون هناك اجتماعاً وبعد أن يصلوا يدفعون بالمستر ولز الرمزي إلى النار

تعليم الأميين في ايران

جاء من طهران أن المساعي المبذولة لتعليم الأميين في إيران قد وصلت إلى نتائج باهرة . فقد أنشأت الحكومة مدارس ليلية للكبار ، وبعد سنتين منحت وزارة المعارف شهادات لخمسة وعشرين ألفا و٢٤٥ شابا كانوا قبل ذلك أميين تماما .

وقد أنشئت هذه المدارس منذ ثلاثة أعوام في كل أنحاء المملكة، وفي هذا العام تقدم للامتحان ٢٤ ألفا و٢٣٣ شاباً أكثرهم تجار من أصحاب الحوانيت الصغيرة وباعة متجولون فمنحت الوزارة شهاداتها لخمسة عشر ألفا و٧٢٢ منهم . ويرى الناس الآن إعلانا منشورا في كل مكان تعريبه : « العلم هو القوة »



حول نقد ديوان

هكذا أغـــنى

للأستاذ محمود حسن اسماعيل

بقلم الأديب مختار الوكيل

يقول الأديب عباس حسان خضر إن محمود حسن اسماعيل، شاعر الريف النابغة، صاحب ديوان «هكذا أغنى» «يمضي متدفقاً مندفعاً عنيفاً، وفى كثير من الأحيان يتبع هذا التدفق والعنف عدم اكتراث بسلامة الذوق، واعتساف فى الفكر وفى التعبير - كانبين فيما يأتى - معتمداً فى ذلك على قوة طبيعته ونشاط خياله، غير متقيد ولا محترس، فهو يعول على الهبة الفطرية أكثر مما يعول على المهارة الاكتسابية.»

ولم يتبع هـذا الكلام بيانٌ دقيقٌ عن عدم اكتراث الشاعر بسلامة الذوق واعتساف الفكر والتعبير كما قال؛ وإنما مضى يقول بعد ذلك:

«ويمتاز شعر هذا الديوان بشئ لعلى موفق إذ أسميه «الروعة» وهو ذلك الذى يستغرق المشاعر ويروع العواطف ويأخذ بالذهن إلى عوالم متنائية الأطراف، ولعل مبعثه بعـد المدى فى الخيال، والايغال فى تصوير الأشياء التى يكتنفها الغموض!»

ويفهم أى قارئ لهذا الكلام أن الكاتب يحاول أن يهاجم الشاعر النابغة ولكن إحساسه الباطنى بشاعرية محمود اسماعيل تخونه فى التعبير الذى يقصـد! فالكاتب يذكر أول الأمر أن محموداً فى شعره متدفق مندفعٌ عنيفٌ، ولكنه لا يكترث غالباً بسلامة الذوق، ويعتسف فى الفكر والتعبير؛ وبمعنى آخر يريد أن يقول إن محموداً شاعرٌ مطبوعٌ ملهمٌ ولكنه لايجيد صناعة الألفاظ، وهذا الكلام فى صالح محمود ولعل الكاتب لم يقصد إليه.

وقوله بعـد ذلك إن الشاعر يأخذ الذهن إلى عوالم متنائية الأطراف وإنه بعيد مدى الخيال، وإنه يوغل فى تصوير الأشياء التى يكتنفها الغموض اعتراف صريح بعبقرية الشاعر؛ فما أظن أن هناك تعريفاً لشعر شاعر أجمل من هذا التعريف الذى ندَّ به قلم الكاتب الفاضل عن غير قصدٍ. أقول عن غير قصد، ومعي الدليل البيِّن على ذلك، إذ لم تمض بضعة سطور على هذه الاشادة الظاهرة بشاعرية محمود، حتى يفجأ الكاتب قارئه بنقدٍ لبيت رائعٍ من قصيدة «دمعة فى قلب الليل». فالكاتب يسخر من قول الشاعر النابغة فى حديثه عن الدموع:

عصرت من مطارف الألم الدا وى بقلبي وعتقت فى دمائى!

بقوله: «فجعلنا نتمثل امرأة حاسرة عن ذراعيهـا أمام طست الغسيل تعصر تلك المطارف والأثواب ...»

وهذا الكلام لا يجوز أن يدلى به ناقد يفهم المعادن الشعرية فهماً كاملاً، أو يكد ذهنه فى اكتشاف الخبئ من المعانى الجميلة التى ينشط خيال الشاعر الجبار فى اقتناصها

***

وكما بينت، يتردد الكاتب فى إظهار حقيقة عواطفـه نحو الديوان فى بعض الأحيان، فهو يعود فيطري قصيدة «ثورة الاسلام فى بدر». وما كان فى وسعه أن يعدو ذلك أو يقول بنقيضه؛ بيـد أنه يقول عن أبيات محمود الخالدة:

وقف المغنى فى حماك مجلجلاً باللحن تخفق فى الورى أصداؤه
فيه من الأقدار وهلة غيبهـا خبأته عن لمع الحجا أطواؤه

ومن الكتائب أرزمت أسلاتها صخب يزمجر بالفتوح نداؤه
ومن المواكب هولها فى فيلق نشوان فى يوم الفخار لواؤه

من قصيدة « يوم التاج » التى أذاعها الشاعر فى مهرجان الوادى بتتويج صاحب الجلالة المليك المحبوب : « فأى مغن هذا المجلجل الذى اجتمعت فيه وهلة الأقدار وصخب الكتائب وهول الفيالق؟! إن هذه الصفات المروعة لا تصطلح على مغن ولو كان من (مطربى) محطة الاذاعة اللاسلكية بالقاهرة ... »

يا أيها الكاتب المحترم ، كيف عرفت أن الشاعر قال هذه الأبيات فى مغن معين ؟! لم يقل محمود هذه الأبيات فى عبد الوهاب ولا فى عبد الحى ، ولو قال فى أيهما لما كان شاعراً وإنما قالها فى هذا الشعب العظيم الذى شملته نشوة روحية بيوم التاج السعيد ، فانطلق يغنى غناء الشعوب ، تجلجل ويجتمع فى غنائها هولة الأقدار وصخب الكتائب وهول الفيالق ؟! كما تقول أنت حقاً !! ومحال أن تصطلح هذه الصفات على مغن من (مطربى) محطة الاذاعة اللاسلكية بالقاهرة كما تقول ... ! فالشاعر الذى يأخذ مثله الأعلى من أية محطة للاذاعة ، بل من أية موسيقى هزيلة ضعيفة، ليس بحقيق أن يدعى شاعراً ، ولكن الشاعر الذى يبشر بمقبل باسم للموسيقى ، إذ يتوجه بها إلى القوة وتصوير الحروب والكتائب ، على نحو ما تأتى به موسيقى « ڤردي » و « بيتهوفن » و « موزار » وأضرابهم من المباقرة هو الشاعر الذى تحلم به مصر ، وهو الشاعر الذى يأتى ليرقى الأحاسيس ، وينمى الابتكار الخيالى ، المنعدم مع الأسف فى محيط الحياة المصرية قاطبة !!

ثم يهاجم الكاتب هذه الصورة الرائعة التى أغبط الشاعر عليها بحق :

الوجه ساج كصلاة الغديرْ بين الطيورْ !

فهو كان يحب أن تصلى الطيور للغدير وهى تحسو الماء منه ، وهذا هو المعنى الذى لا يصح أن يلتفت إليه الناقد المدقق، ولكن المعنى العميق الدقيق هو أن الغدير فى سجوه وهدوئه يؤدى صلاة روحية عميقة ، والطيور حواليه ترشف منه ساعة صلاته وذهوله؛ فهو ينظر إلى حركة الطيور الآلية عند ما ترشف الماء من الغدير على أنها صلاة. والواقع أن الصلاة لا تصدق من الظامئ المفهوم المشغول بحسو الماء من الغدير، ولكنها تصدق كل الصدق من الغدير الساجى الهادئ المعطى الباذل ماءه للطيور الظماء !

وهل يجهل الناقد أن هنالك شيئاً فى الشعر اسمه « امتزاج الأحاسيس » وأن هذا الشىء كتب فيه الشعراء واستمان به الكتاب، ولعل ابن الرومى هو الذى أتقن هذا النوع من الشعر. ولماذا نذهب بعيداً فالرافعى رحمة الله عليه — يقول فى بعض كلامه « واقتلينى يا حبيبتى قتلة ممطرة !! » وعلى هذا الأساس يجب أن يعيد الكاتب النظر فى هذه الأبيات حتى يخرج منها بالصور المركزة الدقيقة التى عناها الشاعر فى قصيدته « فى لهيب الحرمان » و « الذهول »

***

وأختتم هذه الكلمة العابرة راجياً أن يراجع الكاتب الأديب مدارسة الديوان فسيجد فيه فتحاً جديداً فى الشعر المصرى ، واتجاهات رائعة أغفلها الشعراء عندنا . سيجد حديثاً عن الريف ، ومظاهر الطبيعة الحزينة والطروب ، وسيجد تعبيراً عن آلام الفلاح المصرى ، وسيجد غزلاً مطرباً صادقاً ، وعند ذلك يكتب عن شاعر الريف الجديد الذى نبغ على صغر سنه ، فى هذا المضمار الرائع المستقل .

وسنتبع هذه الكلمة بحديث مسهب عن شعر محمود اسماعيل إذا سمحت الظروف وسمحت « الرسالة » .

مختار الوكيل



القصة المسرحية

بين حقيقة الواقع وخيال المتفائلين

أعلنت إدارة « الفرقة القومية » هذا العام ، كما أعلنت في الأعوام السابقة ، عن مباراتها فى التأليف المسرحى والترجمة والاقتباس للمسرح المصرى وحددت للمتفوقين عدداً من الجوائز المالية القيمة ، واهمة أن فى تلك الجوائز ما يغرى كبار أدبائنا وكتابنا بمعالجة القصة المسرحية

وقدجرى لنا مع الأستاذ خليل مطران مدير الفرقة حديث فى صدد القصة المسرحية والروايات التى تقدم للفرقة وأثر المسابقات والمباريات فى ظهور المسرحيات القوية والمؤلفين المنسبين أو الذين لم تتح لهم فرصة التعرف إلى أصحاب الفرق وتقديم مسرحياتهم لهم . وكان من دواعى سرورنا أن اتفقت وجهة نظر كل منا مع الآخر

وخلاصة هذه الوجهة المشتركة من النظر فى التأليف المسرحى هي أن القصة المسرحية الناجحة ، كانت وما تزال وستظل إلى ما شاء الله غاية الفرقة القومية التى لا تكل ولا تمل فى سبيل الوصول إليها ، والتمتع بما يدخل على المسرح المصرى من نتائجها

ولكن الطريق إلى القصة الناجحة وعر ، والرحلة إليها طويلة شاقة ؛ فقد لوحظ أن المؤلفين الذين يتقدمون للمباريات فى التأليف المسرحى يكونون عادة واحداً من اثنين : مشتغل بالمسرح يعرف كيف (يحبك) قصته ويطبعها بطابع الفن الناجح ولكنه ركيك العبارة ضعيف الأسلوب وليست لديه القدر الكافى من الثقافة العامة . وأديب أو كاتب ليست له براعة الأول فى إجادة التصور وحبك الحوادث وإن كان جزل العبارة لطيف الأسلوب غنى فى الثقافة . هذا بينما القصة المسرحية التى تنشدها إدارة الفرقة هى القصة القوية الموضوع ، السلسة الأسلوب ، المحبوكة الحوادث ، الملأى بالمواقف التى تستدر العاطفة وتثير الاعجاب .

وقد يكون من أشد ما يأسف له الكاتب أن يضطر إلى التصريح بالحقيقة المؤلمة التى يعرفها كل بصير وخبير بدولة الأدب والكتابة فى مصر ، وهى أن الكاتب المسرحى الناجح لا وجود له بين ظهرانينا حتى الآن ...

وهناك جملة عوامل هي المسئولة عن هذه الحال التى يؤسف لها أشد الأسف . منها أن فترة النهضة المسرحية لم تدم أكثر من عشر سنوات ، أقفلت بعدها أغلب الفرق أبوابها ، وأعلنت توقفها وإفلاسها . وأى صناعة لا يهتم زعماؤها بالتدقيق والتركيز ، مقضى عليها بالذبول والاندثار لا محالة . ومنها أن الضائقة المالية التى عرضت للفرق على اختلاف ألوانها ، حدت بأصحابها إلى التنكر لكبار أدبائنا وكتابنا الذين رأوا أن يساهموا فى هذه الناحية الأدبية التى كانت وما تزال بكراً فى بلادنا ، ولا نذكر أن كاتباً كبيراً من كتابنا أثنى ذات يوم على مدير لأحدى فرقنا التمثيلية ، المندثرة أو القائمة حتى الآن . . . ومنها أن نفراً من صغار النقاد جروا على الشماتة بكل رواية يقال إن صاحبها هو الأديب الكبير (فلان الفلانى) والزراية بجهوده وتأليفاته بحق بغير حق ، وبدافع من الفن أو من الحقد وصغار النفس ...

والمباريات وإن كانت وسيلة من أحدث الوسائل لتشجيع البادئين والناشئين من المجتهدين ، إلا أنها لا يمكن أن تؤدى إلى النتائج المرجوة لرفعة المسرح والقصة المسرحية فى أقصر زمن مستطاع . وبديهى أن الواجب إعداد المدرس قبل إيجاد التلميذ .. وإلا فعلى أى أساس يكتب البادئون قصصهم إذا لم تكن أمامهم قصص لزعماء الفن مشهود لهما بالجودة ، ومن أقلام كبار الكتاب والأدباء ؟! لا شك أن كثيراً من شبابنا المثقفين عندهم استعداد كبير للظهور فى ذلك الميدان الذى نكرر أنه ما يزال بكراً ، ولا تنقصهم إلا الارشادات (الفنية) التى يمكن اكتسابها بالتعلم أو بتدقيق النظر فى المسرحيات الناجحة .

(سينمائى)

أنباء سينمائية ومسرحية

فلم الدكتور

قطع الأستاذ نيازى مصطفى شوطاً كبيراً فى الفلم الجديد الذى يخرجه



الأستاذ نيازى مصطفى

لحساب استديو مصر . وهو الفلم الذى يسمى (الدكتور) وأن يقوم بالدور الأول فيه الأستاذ سليمان نجيب . والفلم مأخوذ من مسرحية قديمة للأستاذ نجيب ، وحبذا لو غير اسمه حتى يتفق مع الحادث الكبير فى الرواية

سينما تريومف

يفكر بعض المسئولين فى شركة مصر للتمثيل والسينما فى الطرق التى من شأنها تحويل هذه الدار الفخمة إلى سينما لعرض البرامج العربية ، وقد تعاقدت الشركة مع وكالة المتروجلدوين على احتكار عرض أفلامها في الموسم القادم ، ولكن ذلك كلفها نحو (٢٥٠) ج م عن كل فلم

فلم الأستاذ احمد سالم

بدأ الأستاذ احمد سالم فى تصوير المناظر الخارجية لفلمه الذى تبدأ به الشركة الجديدة عملها ، ونحن ننتهز هذه الفرصة فنهنئ عالم السينما المحلية بدخول الأستاذ سالم إليه مستقلاً وعاملاً لحسابه الخاص . وقد علمنا أن موضوع الفلم متصل بالطيران وأن بعض المناظر الخارجية اشتركت فيها بعض وحدات الطيران الحربية المصرية



الأستاذ أحمد سالم

وسنعود إلى الحديث عن الأستاذ وجهوده السينمائية فى فرصة أخرى

السينما فى هوليوود

— يقوم (إدوارد ربنسون) بدلاً من (بون مونى) بتمثيل دور (جواريه)



« شيرلى تمبل » كما تظهر فى فيلمها الجديد (ريبيكا التى من مزرعة سنيبروك) وهو من الأفلام التى تعرضها شركة فوكس القرن العشرين فى الموسم القادم

فى رواية (عرش من الفولاذ) وهى الرواية التى تقوم بالدور الأول فيها (بت ديفيز) أمام (فردريك مارش)

— اختيرت (كلوديت كولبير) و (كاى فرنسيس) للقيام بالدورين النسائيين الأولين فى رواية (إخوان وارنر) الجديدة « عند ما تسدل الستار »

— يعيد (سام جولدوين) رواية (ثلاثة أسابيع) التى كان قد أخرجها أيام السينما الصامتة — للكاتبة السينمائية الشهيرة (إلينور جلن) ؛ وكان بطلاها السابقان هما (إيلين برينجل) و (كونراد فيدت)

— أعدت شركة برامونت رواية خصوصية لإيزا ميراندا ، وذلك بعد ما تقرر عدم إعطائها الدور الأول من رواية (زازا)



« كلوديت كولبير » كما تظهر فى رواية (زوجة بلوبيرد الثامنة) وهى من أهم الأفلام الضاحكة التى تعرضها شركة برامونت فى الموسم القادم